جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

القلب في القرآن الكريم

"دراسة موضوعية"

إعداد
ابتهاج ياسر عيسى شحروج

إشراف
د. خالد علوان

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس _ فلسطين
2011

القلب في القرآن الكريم دراسة موضوعية

إعداد

ابتهاج ياسر عيسى شحروج

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2011/12/6 وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة	التواقيع
د. خالد علوان (مشرفاً ورئيساً)	.....
د. موسى البسيط (ممتحناً خارجياً)	.....
د. عودة عبد الله (ممتحناً داخلياً)	.....

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى من كان سبباً في وجودي إلى روح والدي العزيز رحمه الله وجمعنا به في الفردوس الأعلى.

وإلى أحق الناس بحسن صحابتي من حلمت أن تراني ناجحة في حياتي إلى أمي الغالية.

إلى رفيق دربي وشريك حياتي من أعانني وشجعني على إكمال دراستي إلى زوجي العزيز.

إلى زهرة فؤادي ومهجة قلبي ولدي الحبيب (عمر).

إلى إخوتي وأخواتي وإلى كل من وقف بجانبي وأعانني وساندني من أجل إنهاء هذا العمل.

أهدي عملي هذا.

شكر وتقدير

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه الحمد لله الذي وفقني وأمدني بالصحة والعافية حتى أتممت هذه الرسالة.

أتقدم بالشكر الجزيل إلى معلمي الفاضل الدكتور (خالد علوان) الذي تكرم بالإشراف على رسالتي ودققها لي صفحة صفحة فجزاه الله عني كل خير وحفظه الله وأدامه ذخراً للإسلام والمسلمين.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لأعضاء لجنة المناقشة الدكتور عودة عبد الله المناقش الداخلي والدكتور موسى البسيط المناقش الخارجي اللذين تفضلا بالإشراف على رسالتي فبارك الله فيهما وجزاهما عنّي كل خير.

والشكر موصول إلى كل أساتذتي الذين أفدت من علمهم والذين كان لهم الفضل الكبير في إنهاء متطلبات الحصول على درجة الماجستير أخص منهم الأستاذ الفاضل (محسن الخالدي).

كما أشكر كل من أفادني من علمه وأسدى إليّ معلومة أو مساعدة أو دعماً وأخص منهم أختي في الله أسماء حمودة حقق الله مرادها.

إقرار

أنا الموقعة أدناه مقدمة الرسالة التي تحمل العنوان:

القلب في القرآن الكريم دراسة موضوعية

أقر بأنّ ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد وإنّ هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أي درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

is the unless otherwise referenced The work provided in this thesis and has not been submitted elsewhere for any researcher's own work other degree or qualification.

اسم الطالبة: ابتهاج ياسر عيسى شحروج Student's Name:

التوقيع: Signature:

التاريخ: 2011/12/6 Date :

مسرد المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	ت
الشكر والتقدير	ث
الإقرار	ج
مسرد المحتويات	ح
الملخص	ز
المقدمة	1
الفصل الأول: حقيقة القلب	8
المبحث الأول: تعريف القلب في اللغة والاصطلاح	9
المطلب الأول : تعريف القلب لغة	9
المطلب الثاني : تعريف القلب عند العلماء	10
المبحث الثاني : مفهوم القلب في المصطلح القرآني	11
المبحث الثالث : نظائر القلب في القرآن الكريم	14
الفصل الثاني : أهمية القلب ووظائفه	17
المبحث الأول : أهمية القلب	18
المبحث الثاني : خصائص القلب ووظائفه	20
المطلب الأول : القلب محلٌ للقرآن وتدبره	20
المطلب الثاني : القلب محل الإيمان والتقوى	22

أولاً: القلب محل الإيمان	22
ثانياً: القلب محل التقوى	23
المطلب الثالث : القلب محل السكينة والطمأنينة	24
أولاً: القلب محل السكينة	24
ثانياً: القلب محل الطمأنينة	26
المطلب الرابع : القلب محل الخواطر والعواطف والمشاعر	27
أولاً: القلب مركزٌ للفرح والحزن والهم والغم	28
ثانياً: القلب محل الألفة والحب	30
ثالثاً: القلب محل اللين والخشية	30
رابعاً: القلب محل الخوف والرعب	31
خامساً: القلب محل الكره والاشمئزاز	33
المطلب الخامس : القلب محل التعقل والفهم	34
المطلب السادس: القلب محل نظر الله تعالى وهو محل الإرادة والعزيمة	35
الفصل الثالث : القلب السليم	41
المبحث الأول : صفات القلب السليم	42
المطلب الأول : الانشراح	44
المطلب الثاني : التآلف مع قلوب المؤمنين	46
المطلب الثالث : الإنابة	48
المطلب الرابع: الخشوع	49

المطلب الخامس : الاطمئنان	51
المطلب السادس : الوجل	53
المطلب السابع : التقوى	56
المطلب الثامن : اللّين إلى ذكر الله	57
المطلب التاسع: الرأفة والرحمة	58
نماذج من القلوب اللينة	59
أهل اليمن	59
أبو بكر الصديق	60
المطلب العاشر : الإخبات	60
المبحث الثاني : أسباب صلاح القلوب	62
المطلب الأول : ذكر الله والإقبال على كتاب الله تعالى	62
أولاً: ذكر الله	62
ثانياً: الإقبال على كتاب الله	63
المطلب الثاني : الإيمان بالله	64
المطلب الثالث : التوبة والاستغفار	65
المطلب الرابع : تعظيم أمر الله ونهيه	66
المطلب الخامس : البعد عن أسباب فسادها وخرابها	67
المطلب السادس : الابتلاءات والشدائد	68
المطلب السابع : التفكر في قدرة الله	69

المطلب الثامن : العلم وأثره على القلب	70
الفصل الرابع : القلب المريض	71
المبحث الأول : القلب المريض وصفاته	72
أثر الشيطان على القلوب المريضة	72
المطلب الأول : اللهو	73
المطلب الثاني : الإنكار	75
المطلب الثالث : الإثم	76
المطلب الرابع : الريبة	77
المطلب الخامس : التقلب	79
المطلب السادس : الغلف	80
المطلب السابع : العمى	82
المطلب الثامن : القسوة	83
المطلب التاسع : الزيغ	85
المطلب العاشر : الغلظة	86
المطلب الحادي عشر : التكبر	87
المطلب الثاني عشر : الختم عليه	88
المطلب الثالث عشر: الطبع	90
المبحث الثاني : أسباب مرض وفساد القلب	92
المطلب الأول : المعاصي والذنوب وأثرها على القلب	92

المطلب الثاني : البعد عن الحق بعد معرفته	94
الخاتمة	96
مسرد الآيات القرآنية	98
مسرد الأحاديث	105
قائمة المصادر والمراجع	107
Abstract	b

القلب في القرآن الكريم دراسة موضوعية

إعداد

ابتهاج ياسر عيسى شحروج

إشراف

الدكتور خالد علوان

الملخص

بدأت رسالتي هذه في الفصل الأول بالتعريف بالقلب لغةً واصطلاحاً وفي المصطلح القرآني وبينت في الفصل الثاني أهمية القلب في حياة الإنسان فهو سيد الأعضاء وبصلاحه يصلح الجسد وبفساده يفسد ثمّ تناولت خصائص القلب ووظائفه وفي الفصل الثالث تحدثت عن القلب السليم ثم بينت بعضاً من صفاته كالانشراح والتقوى وغيرها ثمّ انتقلت إلى الحديث عن أسباب صلاح القلوب فذكرت أهم هذه الأسباب مثل العلم وأثره على القلب فهو من أعظم الوسائل لشفاء القلوب وصلاحها وبينت أهمية ذكر الله والتفكر في خلق السموات والأرض وفي الفصل الرابع تحدثت عن القلب المريض ثم عرضت أهم صفاته كالقسوة والغلظة واللهو وغيرها من الصفات وبينت أسباب مرض القلوب وفسادها ووضحت أنّ الذنوب والمعاصي لها أثرٌ كبير في فساد القلوب وفي الخاتمة عرضت أبرز النتائج والتوصيات.

مقدمة

الحمد لله مقلب القلوب ومثَبِتها والصلاة والسلام على من بعث لهداية القلوب وسعادتها الحمد لله القائل:"**يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** "[1].

لقد منّ الله سبحانه وتعالى علينا بكتابه المبين فهو نبراس حياتنا ونورها وهداها ولمّا كان أمر القران عظيماً فإنّ العناية بتلاوته ودراسة علومه وأسراره والعمل بأحكامه كل هذا من حقوق القرآن علينا.

إنّ حياتنا لن تصلح إلا بصلاح قلوبنا كيف لا وهي التي تدلنا على خالقنا فنحبه ونعبده ونخافه ونخشاه فالقلوب هي قائدنا إلى كل خير وبر أو كل إثم وشر .

فإذا استنار القلب بنور الله عز وجل وامتلأ بتوحيده وحبه سبحانه والتوكل عليه ومعرفته فإنه يتوجه إليه بخالص العبادة كيف لا وهو سيد أعضاء الجسم ففي الصحيحين عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: " **ألا وَإِنَّ في الْجَسَدِ مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ألا وَهِيَ الْقَلْبُ**"[2].

فإنّ القلب إذا استقام انقادت له بقية الأعضاء بالاستقامة وإذا فسد بالذنوب والمعاصي فإنّ بقية الجوارح ستفسد لفساده .

إنّ المؤمن يحرص على صلاح قلبه ويبذل جهده حتى يظل قلبه مستقيما خاليا من الأمراض التي تفسده وتهلكه ولا بد للمؤمن من معرفة مفسدات القلوب وأمراضها وأسباب ذلك حتى يتأتى له الحفاظ على قلبه والحرص على سلامته منها .

ولأهمية القلب ومكانته فلقد هداني الله عز وجل لأن أنال شرف دراسته من خلال القرآن الكريم لذلك جاء بحثي هذا بعنوان "القلب في القران الكريم: دراسة موضوعية" .

---

[1] (الشعراء: 89/88)

[2] البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي(ت:256) **صحيح البخاري** 6مج تحقيق مصطفى ديب البغا بيروت دار ابن كثير (ط3/ 1407هـ/1987م) كتاب الإيمان باب من استبرأ لدينه، حديث رقم (52) (1/ 28)

والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم ويجعله حجة لي لا علي ويثقل به موازيني فإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان وإن أصبت فبفضل الله وتوفيقه .

الدراسات السابقة

إنّ مادة هذه الدراسة "القلب في القرآن الكريم : دراسة موضوعية"_ بحسب بحثي واطلاعي _ لم يتم دراستها وجمعها في بحث استقرائي مستقل أو عرض خطة كالتي أعرضها في هذه الدراسة وإنما ذكر لي في آخر مراحل رسالتي عنوانين لرسائل دكتوراة هما:

1. عبودية القلب في القرآن الكريم للباحث: عبد الرحمن البرادعي من جامعة أم درمان - قسم التفسير وعلوم القرآن.
2. حديث القرآن عن القلوب ومنهجه في إصلاحها للباحث: عادل بن سعد الجهني من الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

لكني لم احصل على تفاصيل هاتين الرسالتين حتى أستطيع التمييز بينها وبين رسالتي.

كما وجدت هذا الموضوع مبثوثا في ثنايا الكتب فقد تحدث العلماء في مؤلفاتهم عن موضوع القلب من عدة جوانب ومن الدراسات التي تناولت هذا الموضوع:

1. القلب ووظائفه في الكتاب والسنة لسليمان زيد اليماني [1] تحدث عن مراحل حياة القلوب وعن القلب المريض كما تحدث عن مراحل موت القلوب وعن القلب والمشاعر والقلب والمعرفة.

2. تربيتنا الروحية لسعيد حوى [2] ففي الباب الرابع تحت عنوان: ماهية السير القلبي إلى الله تحدّث عن أنواع القلوب . وفي الباب الثامن تحدث عن النفس ومطالبها وأمراضها وصلة ذلك بعالم القلب والسلوك.

---

[1] اليماني سلمان زيد سلمان **القلب ووظائفه في الكتاب والسنة** الدمام دار ابن القيم (ط1 1414هـ/ 1994م)

[2] حوى ، سعيد بن محمد ديب بن محمود النعيمي (ت: 1409هـ) **تربيتنا الروحية** بيروت دار الكتب العربية (بدون طبعة ولا سنة نشر)

3. إحياء علوم الدين للغزالي [1] وتحدّث عن عجائب القلب بين فيه معنى النفس والروح والقلب والعقل وما هو المراد بهذه الأسامي كما وتحدث عن جنود القلب ومجامع أوصافه وأمراضه .

4. الداء والدواء لابن القيم [2] تناول فيه موضوع المعاصي وأثرها على القلب كما وتحدث عن مسخ القلب وخسف القلب والختم على القلب ونكس القلب وحجبه .

5. ابن القيم في كتابه الروح [3]عن القلب في فصل الفرق بين سلامة القلب والتغفل وكذلك في فصل الفرق بين رقة القلب والجزع.

6. ابن القيم في كتاب مدارج السالكين[4] تحدث عن القلب وأمراضه تحت فصل بعنوان اشتمال الفاتحة على الشفاءين شفاء القلوب وشفاء الأبدان كما وتحدث في فصل عن مفسدات القلب الخمسة وكذلك تحدث في فصل آخر عن رسوخ القلب في مقام توحيد التوكل وفي فصل آخر تحدث عن اعتماد القلب على الله واستسلامه له .

7. ابن القيم في كتابه إغاثة اللهفان[5] وتناول فيه الحديث عن القلب في اثني عشر بابا ذكر فيها انقسام القلب إلى سقيم وسليم وكذلك ذكر فيها أمراض القلوب وعلاماتها ودوائها وزكاة القلب وطهارته .

هكذا كانت دراسات من سبقوني لموضوع القلب حيث تحدث بعضهم عن صلاحه وآخرون عن فساده ومنهم من ذكر أمراضه ومنهم من ذكر أنواعه وأقسامه لكن لم يوجد منهم من درسه دراسة قرآنية موضوعية بشكل مستقل كما فعلت والله تعالى أعلم.

---

[1] الغزالي أبو حامد محمد بن محمد (ت: **505هـ) إحياء علوم الدين** بيروت دار القلم (ط3/بدون سنة نشر)

[2] ابن قيم الجوزية **الداء والدواء** جده دار المدني (ط3/1410هـ -1989م)

[3] ابن قيم الجوزية **الروح** بيروت دار القلم (ط2/1403ه -1983م)

[4] ابن قيم الجوزية **مدارج السالكين** بيروت دار الكتاب العربي (ط2/1393هـ/ 1973م)

[5] ابن القيم الجوزية، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، (ت:751هـ)، **إغاثة اللهفان** بيروت دار المعرفة ،(ط2/1395ه -1975م)

دراستي

الدراسات السابقة تحدّثت عن القلب من أكثر من جانب، وهناك بعضها قد توسّع في الحديث عن القلب، لكنها لم تصب اهتمامها على القرآن الكريم، في حين قامت الباحثة بجمع كل الآيات التي تحدّثت عن القلب وقامت بدراستها واستخراج العناوين منها، فكانت دراسة متخصصة بالقلب في القرآن الكريم، وكانت دراسة موضوعية، وهذا لم يتحقق في الدراسات السابقة التي أشرت إليها أمّا اليماني في دراسته "القلب ووظائفه في الكتاب والسنة" فقد تحدّث عن القلب في سياق القرآن لكن لم يدرسها دراسة موضوعية، كما أنّ بحثه كان يتضمن القلب في الكتاب والسنة وليس فقط في الكتاب كما تخصصت الباحثة.

أهمية البحث

تتمثل أهمية هذا البحث في الآتي:

1. إنّه يتناول واحداً من الموضوعات المهمة في القرآن الكريم وهو القلب .

2. أنّه يمتاز بجمع الآيات التي تناولت موضوع القلب حيث قامت الباحثة بدراستها دراسة موضوعية.

3. يبين هذا الموضوع أسرار القلب وخصائصه التي تميزه عن غيره من الأعضاء

4. يبين هذا الموضوع صفات القلب السليم وأسباب سلامته. كما يبين صفات القلب المريض وأسباب مرضه.

5. إنّه موضوع يخص كل إنسان مهما كان مستواه فكل إنسان يحمل قلباً هو سبب سعادته أو شقاوته.

سبب اختيار الموضوع

لقد وقع اختياري على هذا الموضوع لعدة أسباب أهمها :

1. نيل رضا الله ومثوبته من خلال دراسة كتابه

2. إنّ هذا الموضوع على غاية من الأهمية فهو يهم كل إنسان؛ فكل إنسان يحمل قلباً هو سر سعادته أو سبب شقاوته.

3. أنّ هذه الدراسة قرآنية فهي خدمة لكتاب الله تعالى وفرصة لي أن أتعمق في موضوع من موضوعاته المهمة.

4. عدم عثوري على دراسة علمية وافية حول موضوع القلب في القران الكريم فاخترت هذه الدراسة العلمية المستقلة التي تتيح لي ولكل طالب علم الاستفادة والاستزادة من معرفة كتاب الله تعالى وأسراره.

مشكلة الدراسة

تكمن حقيقة الإنسان في قلبه وهو سر سعادته أو سبب شقاوته ومع هذا فإننا نجد أنفسنا جاهلين بحقيقة قلوبنا لذلك جاء هذا البحث ليجيب عن الأسئلة التالية:

1. هل تحدّث القرآن الكريم عن القلب

2. ما هي أهمية القلب وما هي وظيفته كما بينّها القرآن الكريم

3. ما هو القلب السليم وما هي صفاته وهل تحدّث القرآن الكريم عنه

4. ما هي أمراض القلوب وما أسبابها كما بينها القرآن الكريم؟

5. ما هو علاج أمراض القلوب وما هي أسباب صلاحها وهل ورد بيان ذلك في القرآن الكريم؟

فرضيات البحث

1. أنّ القرآن الكريم تناول موضوع القلب بشكل وافٍ كافٍ لأنّ القلب أهم أعضاء الجسد فلا بد من تنقيته وصلاحه.
2. أنّ القرآن الكريم بيّن وظائف القلب وخصائصه.
3. أنّ القرآن تحدث عن القلب السليم وبيّن صفاته.
4. أنّ القرآن الكريم تحدث عن القلب المريض وبيّن صفاته.
5. أنّ القرآن الكريم بيّن أسباب مرض القلوب وأسباب صلاحها.
6. أنّ القرآن الكريم رسم لنا منهجاً واضحاً ومميزاً لإصلاح قلوبنا.

منهجية البحث

قامت الباحثة بإتباع المنهج الاستقرائي التحليلي في هذه الدراسة وذلك وفق الخطوات التالية :

1. جمع الآيات القرآنية ذات الصلة بهذا الموضوع وتصنيفها موضوعياً ثم دراستها من خلال كتب التفسير الأصيلة والحديثة.
2. تدعيم الدراسة بالأحاديث النبوية ذات الصلة بالموضوع.
3. تخريج الأحاديث وذلك بعزوها إلى مواضعها في كتب الحديث بذكر الكتاب والباب والجزء والصفحة.
4. إذا كان الحديث موجوداً في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بذلك وأما إذا كان الحديث في غير الصحيحين فإنّي أخرجه.
5. الترجمة للأعلام الواردين في الرسالة في أول ورودهم من غير المشهورين.
6. اتباع المنهج العلمي الصحيح في التوثيق.
7. ترتيب مادة البحث وعرضها حسب الخطة الموضوعة من خلال الآيات.

8. توثيق كلام العلماء من خلال الرجوع إلى كتبهم.

خطة البحث وتقسيماته

قسمت البحث إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة

الفصل الأول : حقيقة القلب

المبحث الأول : تعريف القلب في اللغة والاصطلاح

المبحث الثاني : مفهوم القلب في المصطلح القرآني

المبحث الثالث: نظائر القلب في القرآن الكريم

الفصل الثاني : أهمية القلب ووظائفه

المبحث الأول : أهمية القلب في القران

المبحث الثاني : وظائف القلب وخصائصه

الفصل الثالث : القلب السليم

المبحث الأول: القلب السليم وصفاته

المبحث الثاني: أسباب صلاح القلب

الفصل الربع : القلب المريض

المبحث الأول : القلب المريض وصفاته

المبحث الثاني : أسباب مرض القلب

الفصل الأول

مفهوم القلب ودلالته في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف القلب في اللغة والاصطلاح

المبحث الثاني : مفهوم القلب في المصطلح القرآني

المبحث الثالث : نظائر القلب في القرآن الكريم

المبحث الأول

تعريف القلب

المطلب الأول تعريف القلب لغة

يأتي القلب في اللغة بعدة معانٍ أهمها :

أولاً : تحويل الشيء عن وجهه[1] " وقلب الشئ وقلبه حوله ظهرا لبطن كالحية تتقلب على الرمضاء وقلبت الشيء فانقلب أي: انكب وقلبته بيدي تقليبا وكلام مقلوب وقد قلبته فانقلب وقلبته فتقلب "[2].

ثانيا : الصرف فإذا صرفت إنسانا عن شيء يريده فقد قلبته عما يريد[3].

ثالثا: العقل قال الرازي:" وقد يعبر به عن العقل "[4].

رابعاً : ومن معاني القلب: المحض "وجئتك بهذا الأمر قلبا : أي محضا لا يشوبه شئ "[5]

خامساً : وهو المعنى المعروف انه :"عضو عضلي أجوف يستقبل الدم من الأوردة ويدفعه في الشرايين " .[6]

---

[1] انظر : الفراهيدي الخليل بن احمد (ت:175هـ) ، **العين** تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، 8مج دار ومكتبة الهلال ،(121/5) وابن فارس أبا الحسين احمد بن زكريا، (ت:325هـ) **معجم مقاييس اللغة** 6مج، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، (ط1422/2هـ/ 1999م) ، (17/5) وابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري أبو الفضل (ت:711هـ) ، **لسان العرب** 15مج، بيروت دار صادر، (ط1410/1 هـ /1990م) (685/1) والفيروز أبادي محمد بن يعقوب (ت:819هـ) **القاموس المحيط** بيروت مؤسسة الرسالة (ط1996/5م) (162).

[2] ابن منظور : **لسان العرب** (685/1).

[3] انظر : الفراهيدي **العين** (171/5) ، وابن منظور **لسان العرب** (685/1) والزبيدي محمد مرتضى الحسيني (ت:1205هـ) **تاج العروس**، دار الهداية (69/4).

[4] الرازي محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، **مختار الصحاح**. تحقيق محمود فاطر.بيروت: مكتبة لبنان (1415هـ /1995م) (229).

[5] المرجع السابق (171/5).

[6] مصطفى إبراهيم وآخرون **المعجم الوسيط** تحقيق مجمع اللغة العربية دار الدعوة . (753/2) .

المطلب الثاني:تعريف القلب اصطلاحاً

ورد لفظ القلب عند العلماء على معنيين :

المعنى الأول هو : "اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف"[1].

والمعنى الثاني هو:" لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وهو المدرك العالم العارف من الإنسان وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب"[2].

يقول الغزالي عن هذه اللطيفة الربانية : "ولها علاقة مع القلب الجسماني وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته فإن تعلقه به يضاهي تعلق الأعراض بالأجسام والأوصاف بالموصوفات أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة أو تعلق المتمكن بالمكان"[3].

ومما سبق يتبين لنا أنّ المعنى الثاني هو الذي أجمع عليه علماء الاصطلاح .

---

[1] الغزالي أبو حامد محمد بن محمد (ت 505هـ) **إحياء علوم الدين** 4مج بيروت دار المعرفة (3/3)

[2] المرجع السابق ، (3/3) والجرجاني علي بن محمد بن علي (ت816هـ) **التعريفات** تحقيق إبراهيم الأبياري بيروت دار الكتاب العربي (ط1140/5هـ) (229) و المناوي محمد عبد الرءوف (ت:1031هـ) **التعاريف** تحقيق محمد رضوان الداية بيروت دار الفكر المعاصر (ط1/ 1410هـ) (589).

[3] الغزالي **إحياء علوم الدين** (3/3)

المبحث الثاني

مفهوم القلب في المصطلح القرآني

ورد لفظ القلب في القرآن الكريم على عدة معاني حسب السياق في اثنتين وعشرين ومائة آية في ثلاث وأربعين سورة قرآنية :

1. القلب بمعنى العقل وذلك في قوله تعالى: "إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ " [1] أي: عقل ، قال القرطبي:"(لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ) أي: عقل يتدبر به فكنى بالقلب عن العقل لأنه موضعه"[2].

وكذلك في قوله تعالى:"رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ "[3] قال ابن كثير:" أي فلا يصل إلى قلوبهم هدى ولا يخلص إليها خير فلا تعي ولا تهتدي"[4] ومن هنا نعلم أن القلب هنا بمعنى العقل .

ويظهر لنا هذا المعنى في قوله تعالى :"قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ " [5]. قال القرطبي: " الضمير في إنه يحتمل معنيين: الأول: فإن الله نزل جبريل على قلبك الثاني: فإن جبريل نزل بالقرآن على قلبك وخص القلب بالذكر لأنه موضع العقل والعلم وتلقي المعارف"[6].

2. القلب بمعنى الروح كما في قوله تعالى :" إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠"[7] قال الأصفهاني:" أي الأرواح"[8] .وكما

---

[1] (ق:37)

[2] القرطبي أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري (ت:671هـ) **الجامع لأحكام القرآن** 8مج القاهرة دار الشعب (23/17).

[3] (التوبة: 87)

[4] ابن كثير **تفسير القرآن العظيم** (369/4)

[5] (البقرة: 97)

[6] القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (36/2).

[7] (الأحزاب:10)

[8] الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل (ت:503هـ) **معجم مفردات ألفاظ القران** تحقيق إبراهيم شمس الدين بيروت دار الكتب العلمية (ط1/ 1418هـ/1997م) 309

.وكما في قوله تعالى : " وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ"[1]. قال ابن الجوزي :"(إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ) وذلك أنها ترتقي إلى الحناجر فلا تخرج ولا تعود هذا على القول الأو . وعلى الثاني: القلوب هي النفوس تبلغ الحناجر عند حضور المنية"[2]. وقال: (يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ) حضور المنية أو القيامة لدنوها (إِذِ ٱلْقُلُوبُ): النفوس بلغت الحناجر عند حضور المنية أو القلوب تخاف في القيامة فتبلغ الحناجر خوفا فلا هي تخرج ولا تعود إلى أماكنها"[3].

3. القلب بمعنى الرأي كما في قوله تعالى :"لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ" [4]. أي وآراؤهم مختلفة. قال القرطبي" (وقلوبهم شتى) متفرقة فأهل الباطل مختلفة آراؤهم مختلفة شهادتهم مختلفة أهواؤهم وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق"[5].

4. القلب الذي في الصدر أي القلب العضوي بعينه كما في قوله تعالى: " أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ" [6]. قال ابن الجوزي :" والمعنى: أنّ أبصارهم لم تعم وإنما عميت قلوبهم وأما قوله (التي في الصدور) فهو توكيد لأن القلب لا يكون إلا في الصدر "[7].

---

[1] (غافر: 18)

[2] ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي بن محمد(ت:597هـ) **زاد المسير في علم التفسير** 9مج بيروت المكتب الإسلامي (ط3/ 1404هـ) (213/7).

[3] العز بن عبد السلام عز الدين عبد العزيز السلمي الدمشقي الشافعي(ت: 660هـ) **تفسير القرآن / اختصار النكت للماوردي**3مج تحقيق الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي بيروت دار ابن حزم (ط1 1416هـ /1996م) (112/3).

[4] (الحشر:14)

[5] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** (36/18)

[6] (الحج:46)

[7] ابن الجوزي **زاد المسير** (439/5).

قال النسفي: " وذكر الصدور لبيان أنّ محل العلم القلب ولئلا يقال أنّ القلب يعنى به غير هذا العضو "[1].

والآية تفيد أنّ للقلب الذي هو اللطيفة الربانية العاقلة الواعية علاقة بالقلب الذي هو اللحم الصنوبري الموجود بالصدر وهذا ما أكده النبي صلى الله عليه وسلم في قوله :" **ألا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ألا وَهِيَ الْقَلْبُ**"[2] فالتركيز يكون على تلك المضغة التي في الجسد والتي بصلاحها يصلح الجسد كله وهنا يكون الاهتمام بها والبحث عن أسباب سلامتها وصلاحها، وبفسادها يفسد الجسد كله وهنا لا بد من البحث عن أسباب مرضها وفسادها والبعد عنها.

فالقلب في السياق القرآني جاء على عدة معان، فقد جاء بمعنى العقل في بعض المواضع، وفي مواضع أخرى جاء بمعنى المضغة التي في القلب، وجاء بمعنى الرأي وجاء بمعنى الروح، وهذا توصلنا إليه من خلال الرجوع إلى أقوال المفسرين.

---

[1] النسفي أبو البركات حافظ الدين عبدا لله بن احمد بن محمود، (ت:710هـ) **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** مج4، (بلا طبعة ولا سنة نشر) (107/3).

[2] سبق تخريجه ص1

المبحث الثالث

نظائر القلب في القران الكريم

أولا : الفؤاد

فأد أصل صحيح يدل على شدة الحرارة يقال فأد اللحم في النار شواه وافتأدوا أوقدوا ناراً وسمي القلب بالفؤاد لتوقده[1].

وردت لفظة الفؤاد ومشتقاتها في القرآن الكريم كلها بمعنى القلب منها قوله تعالى: **"وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا** [2]. وقد فُسِر لفظ الفؤاد في هذه الآية بالقلب قال القرطبي: "(**لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ**) نقوي به قلبك فتعيه وتحمله"[3]. وقال الواحدي:"(**لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ**) لنقوي به قلبك وذلك أنه كلما نزل عليه وحي جديد ازداد هو قوة قلب"[4]. وكذلك قوله تعالى: ﴿**مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ**﴾[5] أي قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الواحدي :"﴿**مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ**﴾ أي: لم يكذب قلب محمد عليه السلام فيما رأى ليلة المعراج وذلك أن الله جعل بصره في فؤاده حتى رآه وحقق الله تعالى تلك الرؤية وقال إنّها كانت رؤية حقيقية ولم تكن كذبا"[6].وكذا قال القرطبي[7].

فالفؤاد من نظائر القلب، وهو من الألفاظ المقاربة للقلب[8] ويرى الاصفهاني أنّ الفؤاد يطلق على القلب إذا اعتبر فيه معنى التفؤد أي: التوقد[9] وفي لسان العرب :" والفؤاد القلب وقيل وسطه وقيل وقيل الفؤاد غشاء القلب والقلب حبته وسويداؤه"[10]

---

[1] انظر: ابن منظور، **لسان العرب** (328/3)

[2] (الفرقان: 32).

[3] القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (28/13)).

[4] الواحدي،علي بن احمد أبو الحسن (ت:468ه) ، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** تحقيق صفوان عدنان داوودي، 2مج ط1، ،دمشق ،بيروت،دار القلم ،الدار الشامية ،(1415هـ) (778/2).

[5] (النجم :11).

[6] الواحدي ، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** (1039/2).

[7] انظر : القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** (92/17).

[8] انظر: اليماني سليمان زيد سليمان **القلب ووظائفه في الكتاب والسنة** ط1 الدمام دار ابن القيم (1414هـ/1994م) (51)

[9] انظر: الاصفهاني **المفردات في غريب القرآن** (415)

[10] ابن منظور لسان العرب (329/3)

ثانيا : الصدر

ورد ذكر الصدر في القرآن الكريم أربعاً وأربعين مرة[1] في عددٍ من الآيات منها قوله تعالى: تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [2] وقد فسر بعض العلماء لفظ الصدر بمعنى القلب فقال البغوي: " " ألم نفتح ونوسع ونلين لك قلبك بالإيمان والنبوة والعلم والحكمة"[3].

ومنها قوله تعالى :" قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ "[4].فسرها البغوي فقال :" ويبرئ داء قلوب قوم مؤمنين مما كانوا ينالونه من الأذى منهم"[5]

ومنها أيضًا قوله تعالى :" ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ "[6]. والمعنى : أنّ الشيطان يوسوس بالكلام الخفي الذي يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع [7].

والصدر في القلب هو :"في المقام من القلب بمنزلة بياض العين في العين ، ومثل صحن الدرار في الدار ، ومثل الذي يحوط بمكة ، ومثل موضع الماء في القنديل ، ومثل القشر الأعلى من اللوز الذي يخرج اللوز منه إذا يبس في الشجر . فهذا الصدر موضع دخول الوسواس والآفات"[8]

ثالثا : النفس

ورد لفظ النفس في القرآن الكريم ستاً وثمانين ومائتي مرة[9] في آياتٍ كثيرة منها قوله تعالى: "وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ " [10].

---

1 انظر عبد الباقي ، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن** ، ص510.

[2] (الشرح : 1).

[3] البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء الشافعي (ت:516 هـ) **تفسير البغوي** تحقيق خالد عبد الرحمن العك 4مج بيروت دار المعرفة (501/4).

[4] (التوبة : 14).

[5] البغوي **تفسير البغوي** (273/2)

[6] (الناس:5)

[7] انظر :البغوي **تفسير البغوي** (548/4).

[8] الحكيم الترمذي أبو عبدالله محمد بن علي (ت:320هـ) بيان الفرق بين القلب والصدر والفؤاد واللب أعده للنشر وقابله بالاصل يوسف وليد مرعي (2009) عمان مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي (2)

9 أنظر عبد الباقي ، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن** ، ص 710- 714.

[10] (البقرة:87)

قال السمعاني:" (أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم) لا تريد قلوبكم"[1].

ومنها قوله تعالى :" ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ ﴾[2].

قال المفسرون[3] إنّ معنى قوله (أكننتم في أنفسكم) أي: سترتم وأضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه تصريحاً ولا تعريضاً .

وقال الرازي في تفسيره لهذه الآية :"(**أَوْ أَكْنَنتُمْ فِى أَنفُسِكُمْ**) والمراد: أنه يعقد قلبه على أنّه سيصرح بذلك في المستقبل فالآية الأولى: إباحة للتعريض في الحال وتحريم للتصريح في الحال والآية الثانية: إباحة لأن يعقد قلبه على أنه سيصرح بذلك بعد انقضاء زمان العدة"[4].

ومنها قوله تعالى :"﴿ **لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[5] قال السمرقندي :" يعني: أن تظهروا ما في قلوبكم أو تضمروه"[6]

فالنفس هنا جاءت بمعنى القلب.

---

[1] السمعاني أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار(ت:489هـ) **تفسير السمعاني** تحقيق ياسر بن إبراهيم و غنيم غنيم بن عباس بن غنيم ط1 الرياض دار الوطن (1418هـ- 1997م) (1\106).

[2] (البقرة:235)

[3] انظر : البيضاوي ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت:685هـ) **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** 5مج بيروت ، دار الفكر ، (ط1/1416هـ) (531/1) ،والزمخشري **الكشاف** (311/1) وأبا السعود محمد بن محمد ألعمادي(ت:591هـ) **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**،بيروت دار إحياء التراث العربي (232/1).

[4] الرازي فخر الدين محمد بن عمر التميمي الشافعي(ت:604هـ) **التفسير الكبير** 32مج . بيروت دار الكتب العلمية (ط1/ 1421 هـ /2000م) (6\113).

[5] (البقرة: 284)

[6] السمرقندي أبو ليث نصر بن محمد بن احمد **تفسير السمرقندي** تحقيق محمود مطرجي ، بيروت ، دار الفكر (212/1).

الفصل الثاني

أهمية القلب ووظائفه

وفيه مبحثان:

المبحث الأول : أهمية القلب

المبحث الثاني : وظائف القلب وخصائصه

المبحث الأول

أهمية القلب

القلب هو محل الهداية ومهبطها وهو منبت الضلالة أيضاً قال تعالى : "**رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ**"[1].

فالقرآن الكريم هنا يعلمنا كيف ندعو الله أن يثبت قلوبنا كما علمنا رسولنا صلى الله عليه وسلم حيث كان أكثر دعائه في سجوده: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك.

عن أَنَسٍ قال:" كان رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم **يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: يا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي على دِينِكَ فقلت: يا رَسُولَ اللَّهِ آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قال: نعم إِنَّ الْقُلُوبَ بين إصبعين من أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**"[2].

والقلب هو موضع نظر الله عز وجل من الإنسان فالله سبحانه وتعالى لا ينظر إلى الأشكال والمظاهر والصور إنما ينظر إلى قلب العبد ومن هنا فإنّه وجب على كل مسلم أن يعتني بقلبه فيطهّره من الشهوات والشبهات حتى يكون سليماً ولا يجعل جُ اهتمامه بمظهره وشكله وينسى ما هو أهم فعن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال رسول اللَّهِ "صلى الله عليه وسلم" : "**إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إلى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**"[3].

وتظهر أهمية القلب من كونه سيد الأعضاء فصلاحها واستقامتها موقوف على صلاحه واستقامته والعكس صحيح وهذا ما أخبرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي الصحيحين عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم :" **ألا وَإِنَّ في الْجَسَدِ مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ**

---

[1] (آل عمران : 8)

[2] الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي (ت: 279هـ) **سنن الترمذي** 5مج تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين بيروت دار إحياء التراث العربي ، كتاب القدر، باب ما جاء إن القلوب بين إصبعي الرحمن ، رقم الحديث (2140) (448/4) . وقال الترمذي : حديث حسن.

[3] مسلم أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت:261) **صحيح مسلم** 5مج تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي بيروت دار إحياء التراث العربي كتاب البر والصلة والآداب بَاب تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ وَخَذْلِهِ وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ وَعِرْضِهِ وَمَالِهِ،رقم الحديث (2564) (4/ 1986).

صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وإذا فسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ألا وَهِيَ الْقَلْبُ"[1]. يقول ابن حجر في معرض شرحه لهذا الحديث:" وخص القلب بذلك لأنه أمير البدن وبصلاح الأمير تصلح الرعية وبفساده تفسد وفيه تنبيه على تعظيم قدر القلب والحث على صلاحه"[2].

وليس أدلّ على أهمية القلب وخطورة شأنه وعظم مكانته من قوله تعالى:"**يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**"[3] فلا ينجو يوم القيامة ولا يفوز إلا أصحاب القلوب النقية الطاهرة السليمة من العلل المؤثرة في سلوك الجوارح وتصرفات الإنسان ولذلك وجب على كل مؤمن الاعتناء بقلبه والبحث عن أسباب صلاحه وسلامته.

ومن هنا يظهر لنا شرف القلب وأهميته فقد خصه الله تعالى في الذكر في آيات عديدة من كتابه العزيز وميزه عن سائر الأعضاء وبيّنّ لنا أسباب سلامته وصلاحه.

---

[1] سبق تخريجه ص1

[2] ابن حجر أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني الشافعي (ت:852هـ) **فتح الباري شرح صحيح البخاري** 14مج تحقيق محب الدين الخطيب بيروت دار المعرفة (1: 128/129).

[3] (الشعراء:88/89)

المبحث الثاني

وظائف القلب وخصائصه

لقد ورد ذكر القلب في القرآن أكثر من مئة مرة وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أهمية هذا العضو وأهمية وظائفه التي يؤديها ويقوم بها لكنّ هناك الكثير من المسلمين يجهل هذه الوظائف.

الله عز وجل اختص القلب بمجموعة من الوظائف جعلته أهم الأعضاء وارتبط به صلاح الإنسان أو فساده بل صلاح المجتمعات أو فسادها فهو بداية التغيير على مستوى الأفراد والجماعات دليل ذلك قول الله تعالى"إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ"[1].

وهذه الوظائف اختص بها القلب دون غيره من الأعضاء بينها القرآن الكريم وفيما يأتي بيان أهم هذه الوظائف:

المطلب الأول : القلب محلٌ للقرآن وتدبره

خلق الله القلب وجعله مكاناً لحفظ كتابه العزيز فقد نزل به الوحي على قلب محمد صلى الله عليه وسلم فالقلب محل للوحي قال تعالى:"قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ".[2]

وقال سبحانه:(على قلبك) لأنّ القلب محل الوحي فهو القابل الأول له ومدار الفهم والحفظ[3].

وكما في قوله تعالى:" نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ" [4] .

فالقلب آلة الحفظ وهو آلة الفهم والعقل ومحل تدبر كلام الله عز وجل أيضاً.

قال تعالى:" أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ "[5] . فهذه الآية تدل على أن القلب محل التدبر والتفكر.

---

[1] (الرعد:11)

[2] (البقرة :97)

[3] انظر : البيضاوي **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** (367/1). وأبا السعود **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** (134/1)

[4] (الشعراء:194 193)

[5] (محمد :24)

يقول البيضاوي:" (أفلا يتدبرون القرآن): يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا على المعاصي . (أم على قلوب أقفالها): لا يصل إليها ذكر ولا ينكشف لها أمر"[1].

وقال الطبري :" يقول تعالى ذكره: أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ الله التي يعظهم بها في آي القرآن الذي أنزله على نبيه عليه الصلاة والسلام ويتفكرون في حججه التي بينها لهم في تنزيله فيعلموا بها خطأ ما هم عليه مقيمون . (أم على قلوب أقفالها) يقول: أم أقفل الله على قلوبهم فلا يعقلون ما أنزل الله في كتابه من المواعظ والعبر "[2].

ويقول تعالى :" إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ " [3] فهذه الآية واضحة الدلالة على أنّ القلب هو محل الفهم والتدبر وعلى أنّ من لا يعي فكأنه لا قلب له.

يقول الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن في إهلاكنا القرون التي أهلكناها من قبل قريش لذكرى يتذكر بها. (لمن كان له قلب) يعني: لمن كان له عقل من هذه الأمة فينتهي عن الفعل الذي كانوا يفعلونه من كفرهم بربهم خوفا من أن يحل بهم مثل الذي حل بهم من العذاب "[4].

وأشار البيضاوي إلى لطيفة في هذه الآية فقال:" وفي تنكير ا (قلب) وإبهامه تفخيم وإشعار بأن كل قلب لا يتفكر ولا يتدبر كلا قلب" فالانسان الذي يعطّل قلبه عن التدبر والتفكر نستطيع أن نقول أنّه بلا قلب.

ومن الآيات التي تبين هذه الحقيقة قوله تعالى:" بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ " [5].

[5].

---

[1] البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** (194/5)

[2] الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد (ت: 310هـ) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** 14مج بيروت دار الفكر 1405هـ (57/26)

[3] (ق:37)

[4] الطبري **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** (177/26)

5 (العنكبوت:49)

المطلب الثاني : القلب محل الإيمان و التقوى

أولاً : القلب محل الإيمان

الإيمان هو: ما وقر بالقلب وصدقه اللسان وعملت به الجوارح[1] .

قال الله تعالى في مدح عباده المؤمنين :**"أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ"**[2]. أي أثبته وجعله في قلوبهم[3].قال الطبري: " يقول جل ثناؤه : هؤلاء الذين لا يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم كتب الله في قلوبهم الإيمان. وإنما عني بذلك: قضى لقلوبهم الإيمان"[4].

قال صاحب زاد المسير: "ذكر القلوب لأنها موضع الإيمان" [5].

ويؤيد ذلك قوله تعالى :**"قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"**[6].

قال الرازي:" لما قالوا (آمنا) وقيل لهم (لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَكِن قُولُواْ أَسْلَمْنَا) قالوا: إذا أسلمنا فقد آمنا قيل: لا فإن الإيمان من عمل القلب لا غير والإسلام قد يكون عمل اللسان وإذا كان ذلك عمل القلب ولم يدخل في قلوبكم الإيمان لم تؤمنوا"[7].

وقال القرطبي :" فالآية خاصة لبعض الأعراب لأن منهم من يؤمن بالله واليوم الآخر كما وصف الله تعالى ومعنى (ولكن قولوا أسلمنا) أي استسلمنا خوف القتل والسبي وهذه صفة المنافقين لأنهم أسلموا في ظاهر إيمانهم ولم تؤمن قلوبهم وحقيقة الإيمان التصديق بالقلب".[1]

---

[1] انظر: ابن أبي العز الحنفي،**شرح العقيدة الطحاوية** ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، (ط4/ 1391 هـ) (374)

[2] (المجادلة: 22)

[3] انظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (330/4)، و البيضاوي، **تفسير البيضاوي** (315/5)

[4] الطبري، **جامع البيان** (26/26/28)

[5] ابن الجوزي، **زاد المسير** (199/8)

[6] (الحجرات:14)

[7] الرازي، **التفسير الكبير أو مفاتح الغيب** (121/28)

ومما يدل على انّ القلب موطن الإيمان والكفر حادثة شق الصدر من حديث أنس بن مالك عند البخاري وفيه : " **فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ من ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيمَانًا فَغُسِلَ قَلْبِي ثُمَّ حُشِيَ ثُمَّ أُعِيدَ.....**"[2].

وفي رواية مسلم عن أَنَسِ بن مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم :" **أَتَاهُ جِبْرِيلُ صلى الله عليه وسلم وهو يَلْعَبُ مع الْغِلْمَانِ فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ فَشَقَّ عن قَلْبِهِ فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ فَاسْتَخْرَجَ منه عَلَقَةً فقال هذا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ ثُمَّ غَسَلَهُ في طَسْتٍ من ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ لَأَمَهُ ثُمَّ أَعَادَهُ في مَكَانِهِ وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إلى أُمِّهِ يَعْنِي ظِئْرَهُ فَقَالُوا إِنَّ مُحَمَّدًا قد قُتِلَ فَاسْتَقْبَلُوهُ وهو مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ" قال أَنَسٌ وقد كنت أرى أَثَرَ ذلك الْمِخْيَطِ في صَدْرِهِ.** [3]

فقوله : (هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ)، يدل على أن الكفر والإيمان والهداية والضلال يتعلق بهذا القلب الذي داخل الصدر.

فالقلب إذاً محل الإيمان ومقره فمن آمن لسانه ولم يؤمن قلبه فهو كافر ودليل ذلك قوله تعالى :"**يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ**"[4].

ثانياً : القلب محل التقوى

وكما أنّ الإيمان محله القلب فكذلك التقوى التي هي طريق النجاة الكبرى قال الله تعالى : " **ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ**"[5].

قال البيضاوي:" وذكر القلوب لأنها منشأ التقوى والفجور أو الآمرة بهما"[6].

فذكر القلوب هنا وإضافة التقوى إليها لأن حقيقة التقوى في القلب ولأنها لا تحصل بمجرد الأعمال الظاهرة كما بينه صلى الله عليه وسلم في قوله :" **لا تَحَاسَدُوا ولا تَنَاجَشُوا ولا**

---

[1] القرطبي،**الجامع لأحكام القرآن** 348/16

[2] البخاري **صحيح البخاري** كتاب فضائل الصحابة باب المعراج حديث رقم(3674) (3/ 1410)

[3] مسلم،**صحيح مسلم** كتاب الإيمان باب الإسراء،كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله إلى السماوات وفرض الصلوات،حديث رقم(162) (147/1)

[4] (المائدة:41)

[5] (الحج:32)

[6] البيضاوي **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** (125/4) وانظر القرطبي **الجامع لأحكام القرآن** 5/12

تَبَاغَضُوا ولا تَدَابَرُوا ولا يَبِعْ بَعْضُكُمْ على بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ ولا يَخْذُلُهُ ولا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى ها هنا وَيُشِيرُ إلى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ من الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ على الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ"[1].

وكما في الحديث القدسي : **" يا عِبَادِي لو أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا على أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ما زَادَ ذلك في مُلْكِي شيئا يا عِبَادِي لو أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا على أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ما نَقَصَ ذلك من مُلْكِي شيئا"**[2].

وفي هذا الحديث دليل على أنّ محل التقوى والفجور هي القلوب فإذا برّ القلب واتقى برّت الجوارح وإذا فجر القلب فجرت الجوارح وموضع الشاهد من الحديث قوله سبحانه: "على أتقى قلب رجل" وقوله سبحانه: "على أفجر قلب رجل"[3].

ومن هنا كان لزاماً على كل مسلم أن يحرص على تربية قلبه حتى يستقيم فتستقيم جوارحه لأنّ صلاح الظاهر مبني على صلاح الباطن.

المطلب الثالث:القلب محل السكينة والطمأنينة

أولاً : القلب محل السكينة

من وظائف القلب وخصائصه أنه محل للسكينة والطمأنينة وذلك خاص بقلوب المؤمنين حتى يداوموا على الاستسلام لأمر الله وطاعته .

والسكينة هي :"السكون والطمأنينة والثبات عند نزول المحن المقلقة والأمور الصعبة التي تشوش القلوب وتزعج الألباب وتضعف النفوس"[4] وهي:" ما يجده القلب من الطمأنينة عند تنزل الغيب وهي نور في القلب يسكن إلى شاهده ويطمئن وهو مبادي عين اليقين"[1].

---

[1] مسلم **صحيح مسلم** كتاب البر والصلة والآداب بَاب تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ وَخَذْلِهِ وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ وَعِرْضِهِ وَمَالِهِ رقم الحديث (2564) (1986/4)

[2] مسلم **صحيح مسلم**،كتاب البر والصلة ،باب تحريم الظلم،حديث رقم(2577) (1994/4)

[3] انظر : ابن رجب الحنبلي ، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي، **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم** تحقيق شعيب الأرناؤوط إبراهيم باجس بيروت مؤسسة الرسالة (ط7/ 1417 هـ /1997م) (229/1)

[4] السعدي عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق ابن عثيمين ، بيروت مؤسسة الرسالة (1421هـ/2000م) (791/1).

قال الزركشي :"كل سكينة في القرآن طمأنينة في القلب غير واحدة في سورة البقرة: (فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ) فإنه يعنى: شيئا كرأس الهرة لها جناحان كانت فى التابوت"[2].

"والسكينة حين ينزلها الله في قلب تكون طمأنينة وراحة ويقيناً وثقة ووقاراً وثباتاً واستسلاماً ورضا"[3].

وهذه السكينة هي التي دفعت الصحابة رضوان الله عليهم إلى الاستسلام لأمر الله والانقياد لطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بعد الظروف الصعبة التي مروا بها نتيجة بنود صلح الحديبية التي كانت في نظرهم ليست لصالحهم فأدت إلى انزعاجهم واضطرابهم.

قال تعالى :" هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا"[4].

فعندما اضطربت قلوب المؤمنين من بعض بنود الصلح التي أظهرت تحكم الكفار بهم وخضوعهم لشروطهم التي لم تقدر على تحملها نفوسهم أنزل الله سكينته في قلوب المؤمنين.

قال صاحب الظلال : "ولقد كانت قلوب المؤمنين في هذه الواقعة تجيش بمشاعر شتى وتفور بانفعالات متنوعة كان فيها الانتظار والتطلع إلى تصديق رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدخول المسجد الحرام ثم مواجهة موقف قريش وقبول الرسول صلى الله عليه وسلم بالرجوع عن البيت في هذا العام بعد الإحرام وبعد إشعار الهدي وتقليده كان هذا أمرا شاقا على نفوسهم"[5].

---

[1] الجرجاني **التعريفات** (159/1)

[2] الزركشي،أبو عبدالله محمد بن بهادر بن عبدالله،(ت: 794هـ) **البرهان في علوم القرآن** ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار المعرفة، (1391هـ) (ص107)

[3] قطب سيد **في ظلال القرآن** مج6 القاهرة دار الشروق (ط24/ 1995م/1415ه) (3318/6)

[4] (الفتح:4)

[5] قطب، **في ظلال القرآن** 3318

ثانياً : القلب محل الطمأنينة

قال تعالى :" **ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ**"[1]

فالطمأنينة محلها القلب ولا تتأتى إلا بذكر الله .

قال الراغب :" الطمأنينة والاطمئنان: السكون بعد الانزعاج... وقال تعالى:" ألا بذكر الله تطمئن القلوب" تنبيها أنّ بمعرفته تعالى والإكثار من عبادته يكتسب اطمئنان النفس"[2]

قال ابن القيم : " الطمأنينة سكون القلب إلى الشيء وعدم اضطرابه وقلقه ومنه الأثر المعروف: " **الصدق طمأنينة والكذب ريبة**"[3] أي الصدق يطمئن إليه قلب السامع ويجد عنده سكونا إليه والكذب يوجب له اضطرابا وارتيابا ... وفي ذكر الله ها هنا قولان: أحدهما أنّه ذكر العبد ربه فإنّه يطمئن إليه قلبه ويسكن فإذا اضطرب القلب وقلق فليس له ما يطمئن به سوى ذكر الله والقول الثاني: أنّ ذكر الله ههنا القرآن وهو ذكره الذي أنزله على رسوله به طمأنينة قلوب المؤمنين فإن القلب لا يطمئن إلا بالإيمان واليقين ولا سبيل إلى حصول الإيمان واليقين إلا من القرآن فإن سكون القلب وطمأنينته من يقينه واضطرابه وقلقه من شكه والقرآن هو المحصل لليقين الدافع للشكوك والظنون والأوهام فلا تطمئن قلوب المؤمنين إلا به وهذا القول هو المختار"[4].

قال البغوي:" (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) : تسكن قلوب المؤمنين ويستقر فيها اليقين"[5]. إذاً إذاً فإن مقرّ الطمأنينة القلب وحتى يستقر القلب ويطمئن لا بد من إيمان بالله كبير ودوام لذكره ويكون ذكر الله بتلاوة القرآن والتسبيح والتهليل والتحميد وبكل عمل صالح وعلم نافع.[6]

---

[1] (الرعد:28)

[2] الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن** (307)

[3] الترمذي **سنن الترمذي** كتاب صفة القيامة والرقائق والورع حديث رقم 2518 قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح (668/4)

[4] انظر :ابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** 3مج، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط2/1393 هـ/1973م) بيروت دار الكتاب العربي (513/512/2)..

[5] البغوي **تفسير البغوي** (17/3)

[6] انظر: المرجع السابق (18/3)

ويؤيد ذلك قوله تعالى :" قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا "[1]. وقوله أيضا :" وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ "[2]. فالطمأنينة مسكنها القلب .

وقد يسأل سائل : ما الفرق بين السكينة والطمأنينة؟

ظاهر الأمر أنهما بمعنى واحد لكن الذي تطمئن إليه النفس: أنّ كل كلمة في القرآن لا يسد غيرها مسدها ولا يوجد كلمة أخرى يمكن أن تؤدي حقيقة معناها فلا ترادف في القرآن .

ولعل الفرق بين السكينة والطمأنينة : أنّ الطمأنينة هي أثر السكينة فعندما تنزل في القلب تظهر أثارها عليه وعلى صاحبه فيطمئن القلب ويطمأن صاحبه بعد انزعاج وقلق وهذه هي الطمأنينة والله تعالى أعلم .[3]

المطلب الرابع: القلب محل الخواطر والعواطف والمشاعر

القلب محل للخواطر فإن كانت حقا فإنها تؤدي إلى رغبات صحيحة وعواطف طيبة وسلوك حسن أما إن كانت باطلة فينبغي على المؤمن أن يدفعها فإن هذه الخواطر سبب الاستقامة إن كانت صالحة أو سبب للانحراف والزيغ إن كانت باطلة ومن المعلوم أن الله مطلع على هذه الخواطر عالم بها ومن ذلك قوله تعالى: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ"[4]. وقوله تعالى: "وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ"[5].

.[5]

وهذه الخواطر أنواع بحسب مصدرها فقد تكون من الحق سبحانه وقد تكون من الشيطان وقد تكون من النفس قال القشيري في رسالته : " والخواطر خطابات ترد على الضمائر فقد يكون الخطاب بإلقاء ملك أو إلقاء شيطان أو أحاديث نفس أو من الحق سبحانه فإذا كان من

---

[1](المائدة :113)

[2] (الأنفال:10)

[3] رأي المشرف

[4] (ق:16)

[5] (البقرة: 284)

الملك فهو الإلهام وإذا كان من قبل النفس قيل له الهواجس وإذا كان من الشيطان فهو الوسواس وإذا كان من الله سبحانه وكان إلقاؤه في القلب فهو خاطر حق... فإذا كان من الملك فإنما يعلم صدقه بموافقة العلم... وإذا كان من قبل الشيطان فأكثر ما يدعو إلى المعاصي وإن كان من النفس فأكثر ما يدعو إلى اتباع شهوة أو استشعار تكبر". [1]

إذن فالقلب هو محل للخواطر والأفكار الكثيرة المتلونة فعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم :" قال الله تعالى: **أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ ما لَا عَيْنٌ رَأَتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ فاقرؤوا إن شِئْتُمْ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾**[2]"[3] فالقلب يعتبر موطنا للخواطر والمشاعر .

أولاً: القلب محل الفرح والحزن والهم والغم

قال تعالى :" **وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ**"[4]. أي: فارغاً من كل فكر أو هم إلا همّ موسى فقد سيطر عليها التفكر في أمره والانشغال في شأنه خوفاً عليه وحزناً على فراقه ويحتمل أن يكون ذلك فرحاً وسروراً بسبب نجاة موسى وتبني فرعون له.

قال ابن كثير :" يقول تعالى مخبراً عن فؤاد أم موسى حين ذهب ولدها في البحر : إنه أصبح فارغاً أي من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسى".[5]

و قال النسفي :" فارغا من الهم حين سمعت أن فرعون تبناه إن كادت لتبدي بأنه ولدها لأنها لم تملك نفسها فرحا وسروراً بما سمعت لولا أنّا طمأنّا قلبها وسكنّا قلقه الذي حدث به من شدة الفرح لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون"[6].

---

[1] القشيري أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن النيسابوري **الرسالة القشيرية** تحقيق معروف زريق ، وعلي عبد الحليم بلطجي، (ط1/ 1408هـ/1988م) دار الخير (84/83)

[2] السجدة آية 17

[3] البخاري **صحيح البخاري** كتاب بدء الخلق بَاب ما جاء في صِفَةِ الْجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ رقم الحديث 3072 (1185/3)

[4] (القصص :10)

[5] ابن كثير **تفسير القرآن العظيم** (382/3) وانظر: الطبري **جامع البيان** (35/20) والبغوي **تفسير البغوي** (437/3)

[6] النسفي **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** (228/3)

فالقلب محل للعواطف والمشاعر ولذلك دعا إبراهيم عليه السلام ربه قائلاً:

"رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ "[1] فدلت هذه الآية أنّ القلب محل للعاطفة فقوله (تهوي) أي تريد وتحب وتحن وتسرع إليهم شوقاً ووداداً.[2]

وكما أنّ القلب محل للفرح فهو كذلك مكان للضيق والهم والألم قال تعالى :

" نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ "[3] وقد خُصّ الفؤاد هنا دون سائر أعضاء الجسد لأن القلب مكان لإحساس الوجع والألم.[4].

كما أنّ الله عز وجل ذكر في كتابه ما كان يعتري قلب النبي صلى الله عليه وسلم من الضيق عند سماعه لكلام الكفار قال تعالى:" وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ "[5] وقال أيضاً:" فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ "[6] فهاتان الآيتان فيها الدليل على أنّ القلب موضع الهموم والأحزان.

وفي الحديث الذي يرويه عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ ولا بِحُزْنِ الْقَلْبِ وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بهذا وَأَشَارَ إلى لِسَانِهِ أو يَرْحَمُ**"[7].فالعين تدمع تدمع والقلب يحزن.

---

[1] (إبراهيم:37)

[2] انظر :الآلوسي أبا الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** بيروت دار إحياء التراث العربي (238/13) والقرطبي **الجامع لأحكام القرآن** (373/9)

[3] (الهمزة:7/6)

[4] انظر: الرازي **التفسير الكبير** (89/32) والبيضاوي **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** (529/5)

[5] (الحجر:97)

[6] (هود:12)

[7] البخاري **صحيح البخاري** كتاب الجنائز باب البكاء عند المريض حديث رقم(1242) (439/1)

ثانيا : القلب محل الألفة والحب

اجتماع الناس على أمر معين يبدأ من اجتماع قلوبهم عليه وهذا ما حدث بين العرب الذين فرقتهم الثارات والنزاعات فألف الله بين قلوبهم أولاً ليكونوا أمة واحدة من دون الناس وقد كانوا قبل ذلك قبائل متفرقة. قال تعالى :" **وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ**"[1].

فعندما أراد الله أن يجمع بينهم جمع بين قلوبهم بعقيدة التوحيد أولاً فتوحدت أفكارهم وتوحدت مشاعرهم وصدق فيهم قول الله تعالى :"**فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا**"[2] ثم كان من أمر هذه الأمة ما كان ولولا اتحاد قلوبها على الحق لما كان شيء من ذلك.

قال صاحب الظلال :" والنص القرآني يعمد إلى مكمن المشاعر والروابط (القلب) فلا يقول : فألف بينكم إنما ينفذ إلى المكمن العميق :(فألف بين قلوبكم) فيصور القلوب حزمة مؤلفة متآلفة بيد الله وعلى عهده وميثاقه ."[3]

ثالثاً : القلب محل اللين والخشية

القلوب محل الإيمان بكل مستلزماته من حب الله وخشية له وخوف منه وخشوع بين يديه وتوكل عليه والآيات الدالة على ذلك كثيرة منها :

قوله تعالى :"**ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ**"[4].

---

[1] (آل عمران :103)

[2] المرجع السابق

[3] قطب،**في ظلال القرآن** (443/1)

[4] (الزمر: 23)

وهذه الآية وغيرها من الآيات تدل على أمرين مهمين: الأول : أنّ تغيير النفس البشرية إنما يبدأ من إصلاح القلب. والثاني: أنّ الدواء الأعظم والشفاء الأنفع هو كتاب الله تعالى تلاوة وتدبراً وعملاً.

قال سيد قطب :"والذين يخشون ربهم ويتقونه ، ويعيشون في حذر وخشية ، وفي تطلع ورجاء ، يتلقون هذا الذكر في وجل وارتعاش ، وفي تأثر شديد تقشعر منه الجلود؛ ثم تهدأ نفوسهم ، وتأنس قلوبهم بهذا الذكر؛ فتلين جلودهم وقلوبهم وتطمئن إلى ذكر الله ."[1]

لطيفة بلاغية في الآية:

قال الزمخشري: " فإن قلت لم ذكرت الجلود وحدها أوّلاً ثم قرنت بها القلوب ثانيا قلت: إذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب فقد ذكرت القلوب فكأنه قيل تقشعر جلودهم من آيات الوعيد وتخشى قلوبهم في أوّل وهلة فإذا ذكروا الله ومبنى أمره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة ليناً في جلودهم".[2]

وكما أنّ القلب موضع اللين والرقة والخشوع فهو كذلك موضع للقسوة قال تعالى:**"أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ "[3]**. وقال **أيضاً:"أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ "**[4]. فهذه الآيات تبين أنّ القلب قد يلين ويخشع تارة وقد يقسو نعوذ بالله من ذلك.

رابعا : القلب محل الخوف والرعب

---

[1] قطب، **في ظلال القرآن** (3048/5)

[2] الزمخشري **الكشاف** (126/4)

[3] (الزمر: 22)

[4] (الحديد:16)

كما أن القلب محلٌ للفرح والحب فهو كذلك محلٌ للخوف والرعب قال تعالى :" **سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۚ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ** "[1].

قال القرطبي :" والمعنى سنملأ قلوب المشركين خوفا وفزعا"[2].

وقد بينت الآيات سبب هذا الرعب الذي يلقيه الله تعالى في قلوبهم إنّ سببه هو الشرك فما التقى جيش التوحيد مع جيش الشرك إلا وصدق وعد الله قال صاحب الظلال: " وهو وعد قائم في كل معركة يلتقي فيها الكفر بالإيمان فما يلقى الذين كفروا الذين آمنوا حتى يخافوهم ويتحرك الرعب الملقى من الله في قلوبهم ولكن المهم أن توجد حقيقة الإيمان في قلوب المؤمنين حقيقة الشعور بولاية الله وحده والثقة المطلقة بهذه الولاية والتجرد من كل شائبة من شك في أن جند الله هم الغالبون وأن الله غالب على أمره وأنّ الذين كفروا غير معجزين في الأرض ولا سابقين لله سبحانه! والتعامل مع وعد الله هذا مهما تكن ظواهر الأمور تخالفه فوعد الله أصدق مما تراه عيون البشر وتقدره عقولهم! إنه الرعب لأن قلوبهم خاوية من السند الصحيح لأنهم لا يستندون إلى قوة ولا إلى ذي قوة . إنهم أشركوا بالله آلهة لا سلطان لها لأن الله لم يمنحها سلطاناً ."[3]

فمهما امتلك الإنسان من قوة مادية ومن شتى أنواع الأسلحة فإنّ هذا كله لا يساوي شيئاً إذا سيطر الخوف على قلبه .

وقد صدق الله المؤمنين وعده حين سلطهم على بني قريظة لمّا نقضوا عهدهم وتمنعوا في حصونهم ظانين أنّها مانعتهم فقذف في قلوبهم الرعب. قال تعالى :" **وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا** "[4].

---

[1] (آل عمران : 151)

[2] القرطبي **الجامع لأحكام القرآن** (232/4)

[3] قطب **في ظلال القرآن** (492/491/1)

[4] (الأحزاب : 26)

وكما حدث مع يهود بني النضير الذين قال الله فيهم:" هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ"[1].

وفي الآيات لمساتٌ وتوجيهاتٌ تربوية ما أحوج المسلمين إليها في هذا الزمن وبخاصة الدعاة منهم فعليهم أن يذكروا أنّ لله جنوداً اسمها الرعب فلا ينبغي أن يغتروا بقوة الأعداء كما أنّ عليهم أن يعدوا ما استطاعوا من قوة وإنّ أهم العدة الإيمان بالله والثقة بوعده والطاعة لأمره.

خامسا : القلب محل الكره والاشمئزاز

كما أنّ القلوب محل الحب والألفة فهي محل الكره والاشمئزاز وما يظهر على وجه الإنسان إنما هو أثر ما في القلوب وقد وصف الله في آية من كتابه أهل الشرك عند دعوتهم إلى التوحيد فقال: " وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ"[2].

قال السعدي :" يذكر تعالى حالة المشركين وما اقتضاه شركهم وأنهم(إذا ذكر الله وحده) توحيدا له وعملا بإخلاص الدين له وترك ما يعبدون من دونه يشمئزون وينفرون ويكرهون ذلك أشد الكراهة"[3].

قال النسفي :"(وإذا ذكر الله وحده) مدار المعنى على قوله (وحده) أي إذا أفرد الله بالذكر ولم تذكر معه آلهتهم (اشمأزت) أي نفرت وانقبضت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة (وإذا ذكر الذين من دونه) يعنى آلهتهم ذُكرَ الله معهم أو لم يُذكَر (إذا هم يستبشرون) لافتتانهم بها وإذا قيل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له نفروا لأن فيه نفياً لآلهتهم"[4].

لطيفة بلاغية في الآية:

---

[1] (الحشر:2)

[2] (الزمر : 45)

[3] السعدي **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** (726/1)

[4] النسفي **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** (4/ 57)

قال النسفي:" ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز إذ كل واحد منهما غاية في بابه فالاستبشار: أن يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز: أن يمتلئ غماً وغيظاً حتى يظهر الانقباض في أديم وجهه "[1]

وقال تعالى:"وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ "[2].

والغل هو الحقد والبغضاء والحسد [3] وفي الآية توجيه تربوي وتعليم للمؤمنين أن يلجأوا إلى ربهم ومولاهم كي يحميهم من أنفسهم ويقيهم من شرها وفيها إشارة إلى ما يقع أحياناً بين أهل الإيمان فإنّ الشيطان ينزغ بينهم ليزرع البغضاء فيما بينهم.

المطلب الخامس: القلب هو محل التعقل والفهم

كثير من الناس يعتقد أن العقل مكانه الرأس أو الدماغ لكن هذا لا يصح فالعقل محله القلب وآيات القرآن تدل على ذلك كذلك الحديث النبوي الشريف .

قال تعالى : " أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ "[4]. ولم يقل القلوب التي في الأدمغة.

يقول القرطبي :" أضاف العقل إلى القلب لأنه محله كما أنّ السمع محله الأذن"[5].

وهذه الآية تنص صراحة على أن التفكير والعقل مرتبطان بالقلب. وهي مسألة اختلف فيها الفقهاء ورجح ابن القيم أن أصل العقل و مادته من القلب و تنتهي إلى الدماغ فقال : "والتحقيق أن أصله ومادته من القلب وينتهي إلى الدماغ قال تعالى﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ

---

[1] النسفي **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** (4/ 57)

[2] (الحشر:10)

[3] انظر : **لسان العرب** (499/11)

[4] (الحج :46)

[5] القرطبي **الجامع لأحكام القرآن** (77/12)

قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾[1] فجعل العقل في القلب كما جعل السمع بالأذن والبصر بالعين"[2].

وقال الشوكاني :" وأسند التعقل إلى القلوب لأنها محل العقل كما أن الآذان محل السمع وقيل إن العقل محله الدماغ ولا مانع من ذلك فإن القلب هو الذي يبعث على إدراك العقل وإن كان محله خارجا عنه"[3].

يقول تعالى :"وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ "[4].

قال الشوكاني :" جعل سبحانه قلوبهم لما كانت غير فاقهة لما فيه نفعهم وإرشادهم غير فاقهة مطلقا وإن كانت تفقه في غير ما فيه النفع والرشاد فهو كالعدم وهكذا معنى :(**ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها**) فإن الذي انتفى من الأعين هو إبصار ما فيه الهداية بالتفكر والاعتبار وإن كانت مبصرة في غير ذلك والذي انتقى من الآذان هو سماع المواعظ النافعة والشرائع التي اشتملت عليها الكتب المنزلة وما جاءت به رسل الله وإن كانوا يسمعون غير ذلك"[5].

إذاً فالقلوب هي محل العقل والتّدبير عند الإنسان ولكن لا شك أن هناك اتصالاً بالدماغ ولهذا إذا اختل الدماغ فسد التفكير وفسد العقل فهذا مرتبط بهذا ولا مانع من ذلك كما قال الشوكاني:" فإن القلب هو الذي يبعث على إدراك العقل وإن كان محله خارجا عنه"[6]

ويظهر لنا هذا المعنى في قوله تعالى :﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[7]. يقول القرطبي: " الضمير

---

[1] الحج آية 46

[2] ابن القيم أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي،**التبيان في أقسام القرآن** دار الفكر (265/1)

[3] الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، (ت:1250هـ) **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** 5مج، بيروت، دار الفكر،(بلا طبعة ولا سنة نشر) (459/3)

[4] (الأعراف : 179)

[5] الشوكاني **فتح القدير** (2/ 267)

[6] المرجع السابق (459/3)

[7] (البقرة: 97)

في(إنه) يحتمل معنيين الأول: فإن الله نزل جبريل على قلبك الثاني: فإن جبريل نزل بالقرآن على قلبك وخص القلب بالذكر لأنه موضع العقل والعلم وتلقي المعارف"[1]

المطلب السادس: القلب محل نظر الله تعالى وهو مكان الإرادة والعزيمة

الله عز وجل مطلع على قلوب عباده عالم بما يجول فيها من خواطر فهو سميع عليم لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء. قال تعالى:" **وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ**"[2] فالله عز وجل يعلم ما في القلب من العزم على ما لا يجوز[3]. وسياق الآية في الحديث عن حكم التعريض في خطبة النساء أثناء فترة العدة للمتوفى عنها زوجها ففترة العدة فترة حرجة بالنسبة للمرأة فهي ما تزال تعيش على ذكرى زوجها وقد تكون حاملا أو تنتظر انتهاء العدة بوضع حملها وقد بين القرآن أنه لا يجوز التصريح بالخطبة أثناء فترة الحمل وأجاز التعريض بالخطبة.

فهذه الآية تدل على أن الله عز وجل مطلع على ما في ضمائرنا عالم بما يجول في خواطرنا وقا تعالى:" **وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ**"[4] وقال تعالى:" **يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ**"[5] فدلت الآيات على أنّ القلب محلٌ لنظر الله عز وجل.

يقول سيد قطب:" (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه)..وهنا يربط بين التشريع وخشية الله المطلع على السرائر . فللهواجس المستكنة وللمشاعر المكنونة هنا قيمتها في العلاقات بين رجل وامرأة . تلك العلاقات الشديدة الحساسية ، العالقة بالقلوب ، الغائرة في الضمائر . وخشية الله ، والحذر مما يحيك في الصدور أن يطلع عليه الله هي الضمانة الأخيرة ، مع التشريع لتنفيذ التشريع"[6].

---

[1] القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (36/2).

[2] (البقرة:235)

[3] انظر:البيضاوي **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** (532/1)

[4] (النمل:74)

[5] (غافر:19)

[6] قطب **في ظلال القرآن** (256/1)

ويقول تعالى:"وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ"[1] .قال الشوكاني:" وذات الصدور هي: مضمرات القلوب"[2] والمعنى أنّ الله لا يخفى عليه خافية ، عليم بأحوال القلوب وأسرارها وهذا يعني أنّ القلب محلٌ لنظر الله فهو يعلم ما فيه من النية والإرادة والعزيمة ويحاسب عليه.[3]

قال تعالى:"وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا "[4] والعمد ضد الخطأ وهو المقصود بالإرادة والعزيمة والنية [5]. وقال تعالى: " لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ [6]

"ومعنى الآية: لا يعاقبكم الله بالساقط من أيمانكم ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم أي: اقترفته بالقصد إليه وهي اليمين المعقودة "[7]

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إلى أَجْسَادِكُمْ ولا إلى صُوَرِكُم وَلَكِنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إلى صَدْرِهِ**"[8].

قال النووي:" ومعنى نظر الله هنا مجازاته ومحاسبته أي إنما يكون ذلك على ما في القلب دون الصور الظاهرة ونظر الله: رؤيته محيط بكل شئ. ومقصود الحديث: أنّ الاعتبار في هذا كله بالقلب"[9].

---

[1] (الملك:13)

[2] الشوكاني **فتح القدير** (262/5)

[3] انظر:السعدي **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** (876/1) وأبا السعود **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** (6/9).

[4] (الأحزاب:5)

[5] انظر :أبا السعود **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** (91/7) والأصفهاني **المفردات في غريب القرآن** (347)

[6] (البقرة:225)

[7] الشوكاني **فتح القدير** (230/1) وانظر:الرازي **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب** (67/6)

[8] سبق تخريجه ص 28

[9] النووي أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري ، (ت:676هـ)، **شرح النووي على صحيح مسلم** 18مج، (ط1392/2هـ) بيروت، دار إحياء التراث العربي،(121/16).

قال ابن القيم في روضة المحبين:" اعلم أنّ الجمال ينقسم قسمين: ظاهر وباطن فالجمال الباطن هو المحبوب لذاته وهو جمال العلم والعقل والجود والعفة والشجاعة وهذا الجمال الباطن هو محل نظر الله من عبده وموضع محبته"[1].

فالقلب موضع نظر الله عز وجل فبصلاحه تصلح بقية الأعضاء وبفساده تفسد ولذلك وجب على كل إنسان الاعتناء بقلبه وتطهيره من الشوائب فالعبرة ليست بالشكل والمظهر إنما هي بصلاح القلب أو فساده وقريب من ذلك قوله تعالى:"إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ"[2].

مسألة :هل يحاسب الله العباد على ما أضمرته أنفسهم

قال تعالى:" لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"[3].

ظاهر الآية أنّ الله عز وجل يحاسب العباد على ما أضمروه في نفوسهم من الذنوب والمعاقبة على ذلك لمن يشاء والغفران لمن يشاء وهذا المعنى فيه إشكال لأنه يعارض قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه أبو هُرَيْرَةَ حيث قال: قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:" **إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي ما حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا ما لم يَتَكَلَّمُوا أو يَعْمَلُوا بِهِ** "[4].

ولإزالة هذا التعارض ذهب العلماء إلى عدة أقوا [5]:

الأول : أنها منسوخة بقوله تعالى :" **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**"[1]

---

[1] ابن القيم أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، **روضة المحبين ونزهة المشتاقين** بيروت دار الكتب العلمية بلا ط (1412هـ/1992م) (221/1).

[2] (الحجرات:13)

[3] (البقرة:284)

[4] مسلم **صحيح مسلم** كتاب الإيمان بَاب تَجَاوُزِ اللَّهِ عن حديث النَّفْسِ وَالْخَوَاطِرِ بِالْقَلْبِ إذا لم تَسْتَقِرَّ حديث رقم 127) (116/1).

[5] انظر: الطبري **تفسير الطبري** (143/3)

واستدلوا بالحديث عن أبي هُرَيْرَةَ قال: لَمَّا نَزَلَتْ على رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم **(لِلَّهِ ما في السماوات وما في الأرض وَإِنْ تُبْدُوا ما في أَنْفُسِكُمْ أو تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ الله فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ من يَشَاءُ وَاللَّهُ على كل شَيْءٍ قَدِيرٌ)** **قال: فَاشْتَدَّ ذلك على أَصْحَابِ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ بَرَكُوا على الرُّكَبِ فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ اللَّهِ كُلِّفْنَا من الْأَعْمَالِ ما نُطِيقُ: الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ وقد أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هذه الْآيَةُ ولا نُطِيقُهَا قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كما قال أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ من قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا بَلْ قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِير قالوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِير فلما اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ذَلَّتْ بها أَلْسِنَتُهُم فَأَنْزَلَ الله في إِثْرِهَا (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إليه من رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بين أَحَدٍ من رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) فلما فَعَلُوا ذلك نَسَخَهَا الله تَعَالَى فَأَنْزَلَ الله عز وجل (لَا يُكَلِّفُ الله نَفْسًا إلا وُسْعَهَا لها ما كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا ما اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إن نَسِينَا أو أَخْطَأْنَا) قال :نعم (رَبَّنَا ولا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كما حَمَلْتَهُ على الَّذِينَ من قَبْلِنَا) قال: نعم (رَبَّنَا ولا تُحَمِّلْنَا ما لَا طَاقَةَ لنا بِهِ) قال: نعم (وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لنا وَارْحَمْنَا أنت مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا على الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) قال: نعم"**[2].

الثاني : أنها محكمة مخصوصة وهي في معنى الشهادة التي نهى عن كتمها ثم أعلم في هذه الآية أن الكاتم لها المخفي ما في نفسه محاسب ودليلهم قوله تعالى عن الشهادة في الآية السابقة :" **وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**"[3]. والمقصود أنّ من يكتمها يفجر قلبه ولن يخفى على الله كتمانه لأنه بكل شيء عليم وبيده صرف كل شيء في السماوات والأرض.

الثالث : أن الآية فيما يطرأ على النفوس من الشك واليقين[4].

الرابع : أنها محكمة غير منسوخة عامة في كل ما تكسبه القلوب من نوايا وعزائم وإرادات والله محاسب خلقه على ما عملوا من عمل وعلى ما لم يعملوه مما ثبت في نفوسهم وأضمروه ونووه وأرادوه فيغفر للمؤمنين ويأخذ به أهل الكفر والنفاق[5].

---

[1] (البقرة:286)

[2] مسلم **صحيح مسلم** كتاب الإيمان بَاب بَيَانِ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لم يُكَلِّفْ إلا ما يُطَاقُ حديث رقم(125) (115/1)

[3] (البقرة:283)

[4] انظر :النحاس أبا جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي (ت:339) **الناسخ والمنسوخ** تحقيق:محمد عبد السلام محمد (ط1/ 1408هـ) الكويت مكتبة الفلاح (274).

[5] انظر: الطبري **جامع البيان** (143/3)

وهذا ما يميل إليه الباحث لأن اللفظ في الآية يدل على العموم ولا يصح تخصيصه بدون دليل وهذا ما رجحه البيضاوي بقوله :" ما فيها من السوء والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه"[1] وكذلك رجحه الرازي أيضاً فقال :" إنّ الخواطر الحاصلة في القلب على قسمين: فمنها ما يوطن الإنسان نفسه عليه ويعزم على إدخاله في الوجود ومنها ما لا يكون كذلك بل تكون أموراً خاطرة بالبال مع أن الإنسان يكرهها ولكنه لا يمكنه دفعها عن النفس فالقسم الأول يكون مؤاخذاً به والثاني لا يكون مؤاخذاً به"[2].

وأما من قال بالنسخ فهذا قول ضعيف عند الرازي لوجوه :"أحدها: أنّ هذا النسخ إنما يصح لو قلنا إنهم كانوا قبل هذا النسخ مأمورين بالاحتراز عن تلك الخواطر التي كانوا عاجزين عن دفعها وذلك باطل لأن التكليف قط ما ورد إلا بما في القدرة

والثاني: أن النسخ إنما يحتاج إليه لو دلت الآية على حصول العقاب على تلك الخواطر وقد بينا أن الآية لا تدل على ذلك والثالث: أنّ نسخ الخبر لا يجوز إنما الجائز هو نسخ الأوامر والنواهي "[3].

وما قاله الرازي هو الصواب، فلا نسخ في الآية، أما قوله:" ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ ﴾[4] فقد جاء مبيناً للمراد من قوله:" ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ﴾[5]

---

[1] البيضاوي **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** (583/1)

[2] الرازي **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب** (109/7)

[3] المرجع السابق(110/7)

[4] البقرة 286

[5] البقرة 284

الفصل الثالث

القلب السليم وأسباب سلامته

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : القلب السليم وصفاته

المبحث الثاني : أسباب صلاح القلوب

المبحث الأول

القلب السليم وصفاته

الوصول إلى القلب السليم هو الغاية التي يسعى إليها المسلم في الدنيا لأنها سبيل النجاة في الآخرة وقد اقتضت حكمة الله أن يرسل الرسل وينّزل الشرائع ليصل بهذا الإنسان إلى غاية السمو والرفعة في أخلاقه و تصرفاته وسلوكه سواء ما كان منها ظاهراً على جوارحه أو كان مكنوناً داخل صدره ولن يتم له ذلك إلا إذا صلح قلبه وقد أخبرنا الله عز وجل في كتابه العزيز أنه يوم القيامة "**يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** "[1].وقال تعالى في وصفه لإبراهيم عليه السلام: " **إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** "[2].

ولو حاولنا أن نقف على معنى القلب السليم أولاُ لوجدنا أنّ العلماء قد اختلفوا في تحديد معنى القلب السليم على عدة أقوال منها:

أنّه القلب الخالي من الشرك والشك في توحيد الله، وقد قال به كل من مجاهد وقتادة وابن زيد وقال بهذا المعنى كذلك سعيد بن المسيب وقد رجحه الطبري[3].

ومنها ما ذكره ابن سيرين: بأنّ القلب السليم أن يعلم أنّ الله حق وأنّه يبعث من في القبور وأنّ الساعة حق.

وقال ابن عباس : الحي الذي يشهد أن لا إله إلا الله.

وقال أبو عثمان النيسابوري: القلب السليم هو القلب الخالي من البدع[4] .

---

[1] (الشعراء:88/89)

[2] (الصافات:84)

[3] انظر:الطبري **جامع البيان** (87/19)

[4] انظر : ابن كثير **تفسير القرآن العظيم** (340/3)

وقال الجنيد: السليم فى اللغة اللديغ فمعناه أنه قلب كاللديغ من خوف الله تعالى[1].

وقال الواسطي: القلب السليم هو الذي سلم من سوء القدر ومن الإعراض عن الله [2].

وذكر ابن تيمة أنّ سلامة القلب تكون من الاعتقادات والإرادات الفاسدة[3].

وهذه الأقوال ليست من باب الاختلاف لكن لمّا كان القلب السليم متعدد الأوصاف أخبر كل واحد عن القلب السليم ببعض أوصافه.

وبالتأمل نرى أنّ العلماء قد جمعوا بين ركيزتين أساسيتين من خلال تعاريفهم:

أولاها: سلامة اعتقاد هذا القلب وتوحيده لخالقه ثم استقامة صاحبه في سلوكه بناءً على ذلك التوحيد فهو بعيد عن الشرك والشك والبدع خائف وجلٌ من ربه ظاهرٌ ذلك على جوارحه وأعماله.

ومن أجمع الأقوال في ذلك ما قاله الإمام ابن القيم رحمه الله: "والقلب السليم هو الذى سلم من الشرك والغل والحقد والحسد والشح والكبر وحب الدنيا والرياسة فسلم من كل آفة تبعده من الله وسلم من كل شبهة تعارض خبره ومن كل شهوة تعارض أمره وسلم من كل إرادة تزاحم مراده وسلم من كل قاطع يقطعه عن الله"[4].

وقال أيضا:" فالقلب السليم هو الذي سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما بل قد خلصت عبوديته لله تعالى إرادة ومحبة وتوكلا وإنابة وإخباتا وخشية ورجاء وخلص عمله لله فإن أحب أحب في الله وإن أبغض أبغض في الله وإن أعطى أعطى لله وإن منع منع لله ولا يكفيه

---

[1] انظر:الآلوسي ،**روح المعاني** (110/19)

[2] انظر: السلمي ، أبا عبد الرحمن ، محمد بن الحسين بن موسى الأزدي ،(ت:412هـ)، **تفسير السلمي** ، تحقيق سيد عمران،2مج (ط1/ 1421هـ/2001)، بيروت ، دار الكتب العلمية ، (78/2)

[3] انظر:ابن تيمية، أبا العباس أحمد عبد الرحيم الحراني،(ت:728)، **مجموع الفتاوى**، تحقيق عبد ارحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي،ط2، مكتبة ابن تيمية،(337/10)

[4] ابن القيم ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، **الجواب الكافي** ، بيروت ، دار الكتب العلمية،(بلا طبعة ولا سنة نشر) (84/1)

هذا حتى يسلم من الانقياد والتحكيم لكل من عدا رسوله فيعقد قلبه معه عقدا محكما على الائتمام والاقتداء به وحده دون كل أحد في الأقوال والأعمال "[1]

وبعد النظر في أقوال ابن القيم رحمه الله يكون القلب السليم : هو الذي سلِم من الشهوات والشبهات واستسلم و انقاد لأمر الله و أذعن لأحكامه بغير شهوة تعارض أمراً و لا شبهة تعارض حقاً .

ومن جملة ما نود عرضه في هذا المقام عدة مطالب متعلقة بصفات القلب راجين المولى عز وجل توفيقه للوصول إلى الغاية المنشودة.

المطلب الأول :الانشراح

لا شك أنّ المؤمن لا يهدأ له بال ولا يرتاح له قلب إذا عاش في هم وغم ولذلك فإنّ انشراح الصدر غاية يسعى لها الإنسان وهي نعمة ينعمها الله على من يشاء من عباده .

ويظهر ذلك جلياً واضحاً في الكتاب العزيز من خلال الحديث عن رسوله الكريم في سورة دلّ اسمها على ذلك حيث امتن سبحانه من خلالها بهذه النعمة على رسوله فقال تعالى:**"أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ"**[2] أي ألم نفتحه ونفسحه حتى صار وعاءً للعلم والحكمة والنبوة ونزيل عنه الضيق والحرج حتى صار قادراً على تحمل المكاره التي تعرض لها من كفار قريش[3].

وخصّ الصدر بالذكر لأنّ فيه القلب الذي هو موضع الإدراكات والعلوم[4].

وقد ذكر القرطبي أنّ معنى هذه الآية هو ما ورد في الأحاديث النبوية الواردة في حادثة شق الصدر المشهورة واستخراج حظ الشيطان من قلبه صلى الله عليه وسلم وهذا الشرح خاص

---

[1] ابن القيم،**إغاثة اللهفان** (1 /87)

[2] (الشرح:1)

[3] انظر:الطبري **جامع البيان** (234/30)،الزمخشري،**الكشاف** (775/4)،الشوكاني، **فتح القدير** (5/ 461) ،البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** (5/ 504)

[4] انظر:الشوكاني، **فتح القدير** (5/ 461)

برسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحصل لأحد من أصحابه ولا يعلم أنه حصل لأحد من أنبياء الله ورسله.[1].

وإنّ من أعظم أسباب انشراح الصدر ذكر الله وتوحيده والإقبال عليه سبحانه وهذا شرح عام لكل المؤمنين كل بحسبه ولرسول الله صلى الله عليه وسلم المقام الأعلى في ذلك. فتكون الآية متضمنة لنوعي الشرح في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن أعظم أسباب ضيق الصدر الضلال والإشراك بالله عز وجل والذنوب والمعاصي.

قال تعالى:"فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ"[2]. أي من يرد الله له الهداية والإيمان يوفقه للإسلام وتسكن له نفسه ويعرفه بالحق ويجعل نفسه قابلة ومهيأة له[3] وأما من لا يريد الله له الهداية بل يريد له الضلال فإنه يجعل صدره في غاية الضيق عن الإيمان والعلم واليقين فلا ينشرح قلبه لفعل الخير كأنه من ضيقه وشدته يكلف الصعود إلى السماء الذي لا حيلة فيه.[4]

والآية فيها بيان لمعنى الشرح فهو عبارة عن تفسيح القلب وتوسيعه لقبول الحق دليل ذلك في الآية ما قابله من الصدر الضيق الحرج.

وقال تعالى:"أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ"[5]. أي هل يستوي من اتسع قلبه لتلقي أحكام الله والعمل بها منشرحاً قرير العين على بصيرة من أمره كمن لا يلين قلبه لكتابه ولا يطمئن بذكره[6].

وأضيف الشرح إلى الصدر لأنه فناء القلب.[1]

---

[1] القرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (104/20)

[2] (الأنعام :125)

[3] انظر:البيضاوي **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** (450/2) والزمخشري **الكشاف** (60/2)

[4] انظر :السعدي **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** (272/1)

[5] (الزمر:22)

[6] السعدي **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** (722/1)

وكما أنّ قلب المؤمن ينشرح بالإيمان والهدى ويضيق عن الكفر والضلال فإنّ قلب الكافر بعكسه يضيق عن الإيمان والهدى وينشرح بالكفر والضلال فلفظ الشرح غير مختص فقط بجانب الحق والخير لورود قوله تعالى :" **مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ**"[2].والمعنى أنّه فتحه وفسّحه لقبول الباطل والكفر والضلال فطاب به نفساً واعتقده [3]. وهذا من سوء تقديره حتى إنّه في إقباله على فعل الشر ليحسب أنّه يحسن صنعاً وقد يصل به الحال أنّه بفعله هذا يتقرب إلى الله تعالى وكل ذلك استدراجاً من الشيطان.

و لقد أورد الطبري سبباً لنزول هذه الآية: " عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر فعذبوه حتى باراهم في بعض ما أرادوا فشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم :(**كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئنا بالإيمان قال النبي صلى الله عليه وسلم : فإن عادوا فعد**)[4،5].

المطلب الثاني : التآلف مع قلوب المؤمنين

امتن الله عز وجل على عباده المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه ألف بين قلوبهم وجمع كلمتهم بعد إسلامهم فإن تأليف القلوب هو جعلها تألف وتميل إلى الله وتحبه

---

[1] انظر: علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري (ت:730) **كشف الأسرار** تحقيق عبدالله محمود محمد عمر 4مج (1418هـ/1997م) بيروت دار الكتب العلمية (427/3)

[2] (النحل:106)

[3] انظر:الرازي **التفسير الكبير** (99/20) والزمخشري **الكشاف** (594/2)

[4] الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبدالله النيسابوي (ت: 405ه) **المستدرك على الصحيحين** 4مج تحقيق مصطفى عبد القادر عطا (ط1/ 1411ه / 1990م) بيروت دار الكتب العلمية حديث رقم(3362) (389/2) وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

[5] الطبري، **جامع البيان** (182/14)

فيلتقي الجميع على محبته وطاعته ودينه وهو من أفعالها الاختيارية وقد أخبر سبحانه أن ذلك بيده عز وجل فهو الذي يجمع عباده المؤمنين على دينه[1] .

قال تعالى:" وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ"[2].

ولقد كان العرب أعداءً قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم يقتل بعضهم بعضاً ويسرق بعضهم مال بعض والقبائل في عداء وقتال دائمين وكانوا في شر عظيم فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم نبياً مرسلاً آمنوا به واجتمعوا على الإسلام وتوحدت كلمتهم وتآلفت قلوبهم على الإيمان فصاروا أُخوة متحابين مترابطين كالشخص الواحد من تآلف قلوبهم فالإسلام يوحد لا يفرق وفي ائتلاف قلوب المؤمنين واجتماعهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم وبالافتراق والتعادي يختل نظامهم وتنقطع روابطهم ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه ولو أدى إلى الضرر العام.[3]

فالقلوب السليمة قلوب متآلفة متحابة وهذه صفة لقلوب المؤمنين الذين توحدت كلمتهم بعد أن لبوا نداء الله فآمنوا به وبرسوله وعندما تآلفت قلوبهم فقد ارتبطت برباط الأخوة والمحبة وهذا معنى قوله :"فأصبحتم بنعمته إخواناً" ولقد أكرم الله عز وجل نبيه وأيده بنصره لأجل ائتلاف قلوب المؤمنين .

فهذة نعمة منّ الله بها على عباده ولولا فضل الله عز وجل ما تآلفت قلوبهم قال تعالى : " وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ

---

[1] انظر، ابن القيم ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي **شفاء العليل**، تحقيق محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي ، بيروت، دار الفكر، 1398 (57).

[2] (آل عمران:103).

[3] انظر : السعدي ، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، (142).

إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ "[1]. وقد تحققت هذه المعجزة التربوية في الأوس والخزرج فقد كان بينهم عداوة شديدة وحروب عظيمة فألف الله بين قلوبهم بالإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم .

كما تحققت بالتأليف بين المهاجرين والأنصار. تحققت في العرب بشكل عام فقد كان العرب قبل البعثة تسودهم العداوة والعصبية فقد بلغ ذلك حداً لا يمكن دفعة بأية حال من الأحوال ولو أنفق الطالب كل ما في الأرض لا يتم له التأليف بينهم ولكنّ الله عز وجل هو الذي ألفّ بينهم بعظيم قدرته.[2]

فما أحوجنا في هذا الوقت بل في كل وقت وحين إلى الدعوة إلى تآلف القلوب وتوحيدها لتعود الأمة جسماً واحداً كما كانت في بداية عهدها ولن يتم لنا ذلك إلا إذا عادت هذه القلوب لتنهل من معين وينبوع مصدري عزتها كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثالث : الإنابة

النوب : " رجوع الشيء مرة بعد أخرى.... والإنابة إلى الله : الرجوع إليه بالتوبة وإخلاص العمل"[3]

والإنابة إلى الله عز وجل عبادة عظيمة وهي مفتاح السعادة والهداية ولقد أعدّ الله عز وجل الجنة لمن اتقاه وجاءه بقلب منيب قال تعالى:"وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ"[4] والقلب المنيب الراجع إلى الله المخلص لطاعته[5]

وجاء فى تفسير الطبرى:" وجاء الله بقلب تائب من ذنوبه، راجع مما يكرهه الله إلى ما يرضيه.... عن قتادة، جاء بقلب منيب: أي منيب إلى ربه مقبل"[1].

---

[1] (الأنفال : 63)

[2] انظر : الشوكاني **فتح القدير** (322/2)

[3] الأصفهاني ، **المفردات في غريب القرآن** (508)

[4] (ق:33)

[5] انظر: الشوكاني **فتح القدير** (78/5)

لطيفتان:

الأولى: القلب المنيب:" كالقلب السليم في قوله تعالى:" إذ جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" أي سليم من الشرك ومن سلم من الشرك يترك غير الله ويرجع إلى الله فكان منيباً ومن أناب إلى الله برىء من الشرك فكان سليماً"[2] إذن قلب منيب راجع إلى ربه بالطاعة والإخلاص.

الثانية: جَعلُ الإنابة مع الخشية في هذه الآية:"من خشي الرحمن وجاء بقلب منيب" لأن الذي يخشي الله لابد أن يرجوه ويطمع فى رحمته فيرجع إليه ويحبه و يحب عبادته و طاعته وهذا هو الإنابة وذلك هو الذي ينجيه مما يخشاه و يحصل به ما يحبه[3] .

وهناك سبب آخر لخوف المنيب وخشيته فإنه يخشى من زوال مطلوبه بعد حصوله قال ابن تيمية: " فإن المخلص ذاق من حلاوة عبوديته ما يمنعه من عبوديته لغيره ومن حلاوة محبته ما يمنعه عن محبة غيره إذ ليس عند القلب لا أحلى ولا ألذ ولا أطيب ولا ألين ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبوديته لله ومحبته له وإخلاصه الدين له وذلك يقتضي انجذاب القلب إلى الله فيصير القلب منيبا إلى الله خائفا منه راغبا راهبا كما قال تعالى:"من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب" إذ المحب يخاف من زوال مطلوبه وحصول مرغوبه فلا يكون عبد الله ومحبه إلا بين خوف ورجاء"[4]

المطلب الرابع : الخشوع

القلب السليم قلب خاشع لله خاضع ذليل فالخشوع هو الذل والانقياد للحق وقيل الخوف الدائم في القلب [5].

---

[1] انظر: الطبري **جامع البيان** (173/26)

[2] الرازي **التفسير الكبير** (154/28)

[3] انظر ابن تيمية **مجموع الفتاوى** (176/16)

[4] ابن تيمية أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني **الفتاوى الكبرى** تحقيق حسين محمد محمود بيروت دار المعرفة (399/2)

[5]انظر: المناوي **التعاريف** (314)

وقال الراغب:" الخشوع الضراعة وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب ولذلك قيل فيما روي إذا ضرع القلب خشعت الجوارح"[1].

وهذه الأقوال متلازمة فإنّ الخوف الدائم يثمر الذل والانقياد للحق والضراعة ويظهر أثر ذلك على الجوارح.

فالخشوع يتضمن معنى الذل والتواضع وكذلك السكون والطمأنينة فإن خشوع القلب يتضمن عبوديته لله وطمأنينته .[2]

وخشوع القلب يكون عند ذكر الله تعالى وعند سماع آيات الذكر الحكيم قال تعالى معاتباً لعباده المؤمنين :"أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ"[3].

فلما ذكر الله تعالى حال المؤمنين والمؤمنات والمنافقين والمنافقات يوم القيامة كان ذلك مما يدعو القلوب إلى الخشوع لربها والاستكانة لعظمته فعاتب الله المؤمنين على عدم ذلك فقال تعالى :"﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾[4] أي ألم يحن الوقت الذي تلين به قلوب المؤمنين وتخشع لذكر الله وما نزل من الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن الكريم وهذا فيه حث للاجتهاد على خشوع القلب لله تعالى ولما أنزله من الكتاب والحكمة وأن يتذكر المؤمنون المواعظ والأحكام الإلهية كل وقت ويحاسبوا أنفسهم على ذلك ولا يكونوا كالذين أنزل الله عليهم الكتاب الموجب لخشوع القلب فلم يثبتوا بل طال عليهم الزمان واستمرت بهم الغفلة فاضمحل إيمانهم وزال يقينهم فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون فالقلوب تحتاج في كل وقت إلى أن تُذكر بما أنزل الله ولا ينبغي الغفلة عن ذلك فإنه سبب لقسوة القلب وجمود العين .[5]

---

[1] الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن** (148)

[2] انظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى** (28/7)

[3] (الحديد: 16)

[4] الحديد آية 16

[5] انظر: السعدي **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** (840)

يقول سيد قطب :" إنه عتاب مؤثر من المولى الكريم الرحيم؛ واستبطاء للاستجابة الكاملة من تلك القلوب التي أفاض عليها من فضله؛ فبعث فيها الرسول يدعوها إلى الإيمان بربها ، ونزّل عليه الآيات البينات ليخرجها من الظلمات إلى النور؛ وأراها من الآيات في الكون والخلق ما يبصّر ويحذّر .

عتاب فيه الود ، وفيه الحض ، وفيه الاستجاشة إلى الشعور بجلال الله ، والخشوع لذكره ، وتلقي ما نزل من الحق بما يليق بجلال الحق من الروعة والخشية والطاعة والاستسلام ، مع رائحة التنديد والاستبطاء في السؤال :

﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ ﴾

وإلى جانب التحضيض والاستبطاء تحذير من عاقبة التباطؤ والتقاعس عن الاستجابة ، وبيان لما يغشى القلوب من الصدأ حين يمتد بها الزمن بدون جلاء ، وما تنتهي إليه من القسوة بعد اللين حين تغفل عن ذكر الله ، وحين لا تخشع للحق"[1]

المطلب الخامس : الاطمئنان

الطمأنينة صفة ملازمة لأهل الإيمان ، بعيدة المنال على أهل الكفر والمعاصي والأهواء ، وهي شعور بالسكينة والهدوء يسري في قلب المؤمن يرزق من خلاله الصفاء والوقار والثبات، ولا بد لأهل الإيمان من السعي الحثيث لاكتساب هذه النعمة بالحرص على تحقيق متطلباتها ، فلا عيش هنيء ولا حياة سعيدة إذا غابت الطمأنينة عن وجدان العبد وقلبه وغيابها يورث القلق والتردد وضبابية الرؤيا والوقوع في الحيرة التي قد تضل بصاحبها عن سواء السبيل.

ومن هذه المتطلبات لتحقيق الطمأنينة ما ذكره الله تعالى في قوله: " **ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ** "[2] فمن أسباب طمأنينة القلب ذكر الله تعالى

---

[1] قطب، **في ظلال القرآن** (3489/6)

[2] (الرعد: 28)

وهي صفة عباد الله المؤمنين والطمأنينة بذكر الله تكون بانشراح الصدر بتوحيد الله تعالى والتصديق بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم.[1]

وقلوب المؤمنين تطمئن بإحساسها بالصلة بالله عز وجل والأمن في حماه وتطمئن من قلق الوحدة وحيرة الدرب وتطمئن لأنها تثق بحماية الله لها من كل شر ومن كل مكروه مع رضاها بالابتلاء وصبرها على البلاء وتطمئن برحمة الله ورزقه.

ولا يستشعر حقيقة الطمأنينة بذكر الله إلا الذين خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم وليس أشقى على وجه الأرض ممن يحرمون الطمأنينة والأنس بالله وليس أشقى ممن يسير في هذه الأرض مبتوت الصلة بما حوله في الكون لأنه انفصم من العروة الوثقى.

وإنّ هناك لحظات في الحياة لا يصمد لها بشر إلا إذا كان مرتكناً إلى الله عز وجل مهما أوتى من القوة والصلابة ففي الحياة لحظات لا يصمد إليها إلا المطمئنون بالله .[2]

فالطمأنينة صفة القلب السليم الذي يذكر الله تعالى ويقرأ آياته ويتفكر فيها فبذلك يزول قلقه واضطرابه وتهدأ نفسه ويطمئن فؤاده.

وحقيق بقلوب المؤمنين وحري بها أن لا تطمئن لشئ سوى ذكر الله تعالى فإنه لا شيء ألذ ولا أحلى للقلوب من محبة خالقها والأنس به ومعرفته فعلى قدر حبها ومعرفتها لخالقها يكون ذكرها له.

هذا على القول بأنّ ذكر الله هو تسبيحه وتهليله وتكبيره وقيل إنّ المراد بذكر الله القرآن الكريم الذي أنزله ذكرى للمؤمنين فعلى هذا يكون المعنى طمأنينة القلب بمعرفة معاني القرآن وأحكامه وباليقين والعلم وذلك في كتاب الله.[3]

---

[1] انظر: الشنقيطي محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني **أضواء البيان** تحقيق: مكتب البحوث والدراسات. بيروت دار الفكر (1415هـ/ 1995م). (259/5)

[2] انظر: قطب **في ظلال القرآن** (2060/4)

[3] انظر: السعدي **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** (417/416)

فحريٌ بكل مؤمن يريد الوصول إلى هذه النتيجة أن ينكب على تلاوة آيات الله آناء الليل وأطراف النهار.

وكما أنّ قلوب المؤمنين تطمئن بذكر الله فكذلك اطمأنت قلوب المؤمنين وثبتت واستبشرت بنزول الملائكة في غزوة بدر الكبرى قال تعالى :" **وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ** "[1].

فقد كان المؤمنون في هذه الغزوة بحاجة إلى رعاية الله لهم وإمدادهم بنصره فنزلت الملائكة لتثبتهم ولتسكن قلوبهم وتطمئن وحتى بعد نزولها فإن الله تعالى يؤكد على أنّ النصر من عند الله العزيز الحكيم حتى لو ملكتم أسباب النصر .

يقول الثعالبي: " ومعنى الآية وما كان هذا الإمداد إلا لتستبشروا به وتطمئن به قلوبكم وترون حفاية[2] الله بكم وإلا فالكثرة لا تغنى شيئا إلا أن ينصر الله"[3].

إنّ "القلب يطمئن بالوقوف على المعنى الذي هو متعلق الحكم حتى لو حصل له اليقين قبله ألا ترى أن إبراهيم عليه السلام طلب اطمئنان القلب بقوله :"**رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِۖ**"بعدما قد حصل اليقين له حتى قال :(**بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي**)"[4].

ولقد ذكر القرآن الكريم أنّ الإيمان بالله تعالى يبعث في القلب الطمأنينة والأمن فيستشعر المؤمن السعادة الحقّة في قلبه لأنّ القلب محل الطمأنينة ومستقر السكينة. قال تعالى :" **مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ** "[5].

---

[1] (آل عمران:126)

[2] الحفاية: الرعاية والإكرام، حفاية الله بكم رعايته وإكرامه لكم، انظر: ابن منظور، **لسان العرب** (187/14)

[3] الثعالبي عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت: 875ه) **تفسير الثعالبي** بيروت مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بلا طبعة ولا سنة نشر، (308)

[4] علاء الدين **كشف الأسرار** (427/3)

[5] (النحل: 106)

المطلب السادس: الوجل

الوجل لغة هو: الفزع واستشعار الخوف[1] والمؤمن صاحب قلب وجل خائف من عقاب ربه راجياً رحمته هذه هي حاله وهي ليست إلا للمؤمن لذلك كان الوجل من صفات المؤمنين كما ذكرها الله تعالى في سورة المؤمنين. قال تعالى:"وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ"[2].

وقد بينّ الله تعالى أنّ صفة الوجل تلازم المؤمنين الصادقين في حالتين:

الأولى: عند قيامهم بالطاعات:

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله :قول الله عز وجل:(**والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة) أهو رجل يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو مع ذلك يخاف الله عز وجل؟ قال: "لا ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق وهو مع ذلك يخاف الله عز وجل"**[3].

فالآية والحديث يوضحان تلازم الخوف والرجاء في قلب المؤمن فهو يؤدي الطاعات راجياً رحمة الله وثوابه وهو مع ذلك خائف من الله تعالى أن لا يقبل عمله. والسبب في خوف المؤمن مع أنه يؤدي الطاعات: أنه يخشى التقصير في الطاعات وعدم الإخلاص فيها ويخشى طروء المفسدات التي تفسد العمل والإيمان كما أنه يخشى سوء الخاتمة لأنّ الأعمال بالخواتيم.

وقلب المؤمن يستشعر يد الله عليه ويلمس آلاءه في كل نفس وفي كل نبضة ومن ثمّ يستصغر كل عباداته وطاعاته كذلك فهو يستشعر جلال الله وعظمته ومن ثمّ يشعر بالهيبة ويشعر بالوجل ويخاف أن يلقى الله وهو مقصر في حقه.[4]

الثانية: عند ذكر الله تعالى

---

[1] انظر: ابن منظور، **لسان العرب** (722/11)، والأصفهاني **المفردات في غريب القرآن** (513/1)

[2] (المؤمنون: 60)

[3] الترمذي **سنن الترمذي** كتاب التفسير باب : ومن سورة المؤمنين حديث رقم3175 (5/ 327) وأحمد بن حنبل **مسند أحمد بن حنبل** مسند فضالة بن عبيد الأنصاري حديث رقم 25302 (159/6)، والحاكم **المستدرك على الصحيحين** (427/2) قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

[4] انظر: قطب **في ظلال القرآن** (2472/4)

قال تعالى في وصفه لعباده المؤمنين الذاكرين:" **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ**"[1]. فهذه الصفة محصورة في المؤمنين دون غيرهم.

وروي عن أبي الدرداء في قوله تعالى﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾[2] قال: "الوجل في القلب كإحراق السعفة[3] أما تجد له قشعريرة؟ قال: بلى قال: إذا وجدت ذلك في القلب فادع الله فإن الدعاء يذهب بذلك."[4].

وروي عن السدي أنه قال:"هو الرجل يهمّ بمعصية فيذكر الله فينزع عنها".[5]

قال سيد قطب:" إنها الإرتعاشة الوجدانية التي تنتاب القلب المؤمن حين يذكّر بالله في أمر أو نهي فيغشاه جلاله وتنتفض فيه مخافته ويتمثل عظمة الله ومهابتة إلى جانب تقصيره هو وذنبه فينبعث إلى العمل والطاعة.... إنها حال ينال القلب منها أمر يحتاج إلى الدعاء ليستريح منها ويقر"[6].

وقال تعالى في سورة الحج : " **ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ** "[7] وحصول الوجل منهم عند الذكر له سبحانه دليل على كمال يقينهم وقوة إيمانهم[8].

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم:" **سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ الله رَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**"[9].

مسألة : قد يسأل سائل ما الفرق بين الخوف والخشية والوجل والرهبة ؟

---

[1] (الأنفال: 2)

[2] الانفال 2

[3] السعفة: مرض جلدي وقروح تصيب الرأس/ انظر ابن منظور **لسان العرب** (151/9)

[4] الطبري **جامع البيان** (179/9)

[5] المرجع السابق (179/9)

[6] قطب **في ظلال القرآن** (1475/3)

[7] (الحج: 35)

[8] انظر: الشوكاني **فتح القدير** (3/ 452)

[9] البخاري **صحيح البخاري** كتاب الرقاق باب البكاء من خشية الله حديث رقم (6114) (2377/5)

الخوف والوجل والخشية والرهبة هي ألفاظ متقاربة لكنها ليست مترادفة فلكل كلمة في القرآن معناها الخاص بها فكما أنها ألفاظ مختلفة فإن معانيها كذلك مختلفة .

فالخوف توقع المكروه والهرب منه عند حلوله وهو اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف وقد يكون خوفاً دون تعظيم للمخوف منه.

وأما الخشية فهي خوف مقرون بتعظيم وهي أخص من الخوف فهي للعلماء بالله تعالى قال تعالى: "إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ"[1] .

وأما الرهبة فهي خوف مع التحرز والاضطراب والإمعان في الهرب من المكروه.

وأما الوجل فهو رجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته.[2]

المطلب السابع: القلب التقي

التقوى من "وقى : الوقاية حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره.... والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف ..ثم يسمى الخوف تارة تقوى والتقوى خوفاً... وصارت التقوى في تعارف الشرع: حفظ النفس عما يؤثم وذلك بترك المحظور ويتم ذلك بترك بعض المباحات"[3].

وأخطر ما ينبغي على المسلم أن يتقيه هو الشرك ثم الكبائر ثم ينبغي أن يحذر من الإكثار من الصغائر والإصرار عليها والصغائر لا يسلم منها أحد ثم ينبغي أن يحذر من الشبهات فقد جاء في الحديث :" **فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ**"[4].

---

[1] (فاطر: 28)

[2] انظر: ابن القيم **مدارج السالكين** (513/512) والسيوطي أبا الفضل عبد الرحمن جلال الدين (ت :911هـ) **معجم مقاليد العلوم**، تحقيق محمد إبراهيم عبادة ،(ط1/ 1424 هـ/2004م) القاهرة مكتبة الآداب (204)

[3] الأصفهاني **المفردات في غريب القرآن** (530)

[4] مسلم **صحيح مسلم** كتاب المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات حديث رقم (1599) (1219/3)

وقد بينّ النبي صلى الله عليه وسلم أنّ القلب محل للتقوى وذلك في قوله:" **التَّقْوَى ها هنا وَيُشِيرُ إلى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ**"[1] فالتقوى صفة للقلب السليم من الشوائب ومتى كان القلب تقياً ظهر ذلك على جوارح الإنسان فيطيع الله ويجتنب نواهيه فعلى قدر خوف الإنسان وتقواه يكون إيمانه وطاعته.

وقد ذكر الله تعالى علامتين دالتين على تقوى القلوب:

الأولى : الأدب بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم بخفض الصوت.

قال تعالى :" **إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ** "[2].

يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم هم الذين اختبر الله قلوبهم فاصطفاها وأخلصها للتقوى يعني لاتقائه بأداء طاعته واجتناب معاصيه كما يمتحن الذهب بالنار فيخلص جيدها ويبطل خبثها[3].

فالله تعالى قد امتحن قلوب المؤمنين للتقوى أي ابتلاها واختبرها فظهرت النتيجة بأن صلحت قلوبهم للتقوى ثم وعدهم المغفرة لذنوبهم وحصول الأجر العظيم الذي لا يعلم وصفه إلا الله تعالى وفي هذا دليل على أن الله يمتحن القلوب بالأمر والنهي والمحن فمن لازم أمر الله واتبع رضاه وسارع إلى ذلك تمحض وتمحص للتقوى وصار قلبه صالحاً ومن لم يكن كذلك علم أنه لا يصلح للتقوى.[4]

الثانية: تعظيم شعائر الله

وقال تعالى :" **ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ**"[5]

---

[1] سبق تخريجه ص 41

[2] (الحجرات: 3)

[3] انظر : الطبري، **جامع البيان** (120/26)

[4] انظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** (779/1)

[5] (الحج:32)

والشعائر هي: جمع شعيرة وهو كل شيء لله تعالى فيه أمر أشعر به وأعلم ومنه شعار القوم في الحرب أي علامتهم التي يتعارفون بها ومنه إشعار البدنة وهو الطعن في جانبها الأيمن حتى يسيل الدم فيكون علامة فهي تسمى شعيرة بمعنى المشعورة فشعائر الله أعلام دينه لا سيما ما يتعلق بالمناسك وتعظيم شعائر الله هو استحسان البدن واستسمانها قال به ابن عباس.[1]

فتعظيم شعائر الله تعالى والالتزام بأوامره من تقوى القلوب فالقلب الذي يخاف الله ويتقيه لا يملك من أمره شيئاً فهو مطيع لأوامر الله مجتنب لنواهيه.

المطلب الثامن : اللّين لذكر الله تعالى

إذا اتصف القلب السليم بهذه الصفة فكان ليّناً فلا بد له أن يرق ويفهم ما يوجه إليه من الحق وهذه نعمة من الله تعالى يهبها لمن يشاء من عباده.

واللين هو ضد الخشونة ويقال : هو في ليانٍ من عيش أي في نعمة وفلان ملينة: أي لين الجانب[2].

وقد ذكر لين القلب في قوله تعالى:"ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ"[3]. فالقلب السليم يتأثر عند سماعه لكلام الله تعالى وذلك لأنه قلب خاشعٌ لين وقال الطبري في تفسيره لهذه الآية: "ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ " : يعني إلى العمل بما في كتاب الله والتصديق به[4].

وقشعريرة الجلود والقلوب تكون من سماع القرآن وفهمه لأنّ السماع والفهم يومئذ متقارنان لأنّ السامعين أهل اللسان، فاقسعرار الجلد كناية عن وجل القلوب، الذي تلزمه قشعريرة في الجلد غالباً[5]

---

[1] انظر: الطبري، **جامع البيان** (156/17)، والقرطبي ، **الجامع لأحكام القرآن** (56/12)

[2] انظر: ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة** (225/5)

[3] (الزمر:23)

[4] الطبري، **جامع البيان** (211/23)

[55] انظر: ابن عاشور محمد الظاهر **التحرير والتنوير** 30 مج تونس دار سحنون (1997م) (338/4)

المطلب التاسع: الرأفة والرحمة

الرأفة: "الرحمة، وقيل أشد الرحمة"[1]، والرحمة الرقة والعطف والرأفة[2]. وكما أن قلوب المؤمنين لينة فهي كذلك رحيمة رؤوفة وهما صفتان عظيمتان وهبهما الله لقلوب عباده المؤمنين قال تعالى:"وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً"[3].

ذكر ابن الجوزي أنّ الرحمة هنا بمعنى الرقة[4] وأما القرطبي فذكر أنها بمعنى المودة[5] فالله عز وجل امتن بهذه النعمة على عباده فقد جعل الرأفة والرقة بين أهل الإيمان كما بينت الآية وكما قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي يرويه أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: **أَرْسَلَتْ ابْنَةُ النبي صلى الله عليه وسلم إليه إِنَّ ابْنًا لي قُبِضَ فائتنا فَأَرْسَلَ يقريء السَّلَامَ وَيَقُولُ: إِنَّ لِلَّهِ ما أَخَذَ وَلَهُ ما أَعْطَى وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ فَأَرْسَلَتْ إليه تُقْسِمُ عليه لَيَأْتِيَنَّهَا فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بن عُبَادَةَ وَمَعَاذُ بن جَبَلٍ وَأُبَيُّ بن كَعْبٍ وَزَيْدُ بن ثَابِتٍ وَرِجَالٌ فَرُفِعَ إلى رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الصَّبِيُّ وَنَفْسُهُ تَتَقَعْقَعُ[6] قال حَسِبْتُهُ أَنَّهُ قال: كَأَنَّهَا شَنٌّ[7] فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ فقال سَعْدٌ: يا رَسُولَ اللَّهِ ما هذا فقال:" هذه رَحْمَةٌ جَعَلَهَا الله في قُلُوبِ عِبَادِهِ وَإِنَّمَا يَرْحَمُ الله من عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ"**[8]

---

[1] ابن منظور **لسان العرب** (112/9)

[2] انظر ابن فارس **معجم مقاييس اللغة** (498/2)

[3] (الحديد:27)

[4] ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن،(ت:592) **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي1، لبنان/ بيروت ، مؤسسة الرسالة ،(ط1/ 1404هـ /1984م) (333)

[5] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** (262/17)

[6] القعقعة : حكاية صوت الشيء اليابس إذا حرك/ ابن حجر **فتح الباري** (157/3)

[7] الشن: الخلقة اليابسة/ المرجع السابق

[8] البخاري **صحيح البخاري** كتاب الجنائز بَاب قَوْلِ النبي صلى الله عليه وسلم يُعَذَّبُ الْمَيِّتُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عليه حديث رقم(1224) (431/1)

بهذه الرحمة والرأفة المودعة في قلوب المؤمنين الطاهرة تكونت الألفة بينهم فاتفقت قلوبهم على المودة والمصافاة والتواصل فرقت جوانبهم لبعضهم البعض فزادهم الحق تبارك وتعالى ألفة في قلوبهم وإذا ائتلفت كانت الأخوة الطاهرة في الله ولله.[1]

وما أحوج الأمة الإسلامية إلى قلوب رحيمة لينة رؤوفة بدلاُ من القلوب القاسية فإنّ قساوة القلب تساهم في انتكاسة علاقة الأفراد بعضهم ببعض ونحن على علم بما آلت إليه الأمة من حالة الضعف والهوان وإنّ الذي نخاف منه هو أن تصبح هذه الأمة مثل بني اسرائيل في قسوة قلوبهم وشدتها التي صارت كالحجارة بل أشد قسوة.

الفرق بين الرحمة والرأفة

الرأفة أبلغ من الرحمة وهي دفع المكروه وإزالة الضرر، أمّا الرحمة فهي اسم جامع، وقد تقع في الكراهة[2]

نماذج للقلوب اللينة الرحيمة

هناك من تجلى لين القلب في مواقفهم وتصرفاتهم فوصفوا بذلك ومنهم:

أولاً : أهل اليمن

فقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل اليمن بأنهم أصحاب قلوب رقيقة لينة فقال عليه السلام:

" **أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً وَأَلْيَنُ قُلُوبًا"[3].** والثناء على أهل اليمن كان بسبب إسراعهم في الإيمان وقبوله فقد قبلوا البشرى حين لم تقبلها بنو تميم أول بدء الخلق وقوله أرق أفئدة يعني أن غشاء قلوبهم رقيق وإذا رقّ الغشاء كان ذلك أسرع في قبول الشئ [4].

ثانياً : أبو بكر الصديق

ومن الذين ظهر لين القلب في مواقفهم أبو بكر الصديق_ رضي الله عنه_ في موقفه من أسرى بدر عندما قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: **ما تَقُولُونَ في هَؤُلَاءِ الأَسْرَى قال فقال**

---

[1] انظر: اليماني **القلب ووظائفه في الكتاب والسنة** (169/168)

[2] انظر الرازي **التفسير الكبير** (88/4)

[3] البخاري **صحيح البخاري** كتاب المغازي بَاب قُدُومِ الْأَشْعَرِيِّينَ وَأَهْلِ الْيَمَنِ حديث رقم (4127) (1594/4)

[4] انظر: ابن حجر، **فتح الباري**،(352/6)

أبو بَكْرٍ: يا رَسُولَ اللَّهِ قَوْمُكَ وَأَهْلُكَ اسْتَبْقِهِمْ وَاسْتَأْنِ بِهِمْ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتُوبَ عليهم .... فَخَرَجَ عليهم رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فقال: "إن اللَّهَ لَيُلِينُ قُلُوبَ رِجَالٍ فيه حتى تَكُونَ أَلْيَنَ مِنَ اللَّبَنِ وان اللَّهَ ليشهد قُلُوبَ رِجَالٍ فيه حتى تَكُونَ أَشَدَّ مِنَ الْحِجَارَةِ وان مَثَلَكَ يا أَبَا بَكْرٍ كَمَثَلِ إبراهيم عليه السَّلَامُ قال:(من تبعني فإنه مني وَمَنْ عصاني فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) وَمَثَلَكَ يا أَبَا بَكْرٍ كَمَثَلِ عِيسَى قال:" إن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لهم فَإِنَّكَ أنت الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ"..."[1]

المطلب العاشر: الإخبات

الخبت كلمة عربية وهي بمعنى ما اتسع من الأرض وجمعه أخبات و خبوت وقال ابن الأعرابي: الخبت ما اطمأن من الأرض واتسع وقيل: الخبت ما اطمأن من الأرض وغمض فإذا خرجت منه أفضيت إلى سعة وقيل الخبت الخفي المطمئن من الأرض فيه رمل[2]. وهذه الكلمة تدل على المكان المنخفض من الأرض[3]. ثم استعير لمعنى التواضع، كأن المخبت سلك نفسه في الانخفاض، فأصبحت سهلة سمحة مطواعة؛ ويقال فيه خبته أي: تواضع وبناء على هذا الأصل اللغوي تفرع القول في معنى (الإخبات) واختلف المفسرون في تحديد معناه فعند مجاهد هو بمعنى الطاعة وعند ابن عباس بمعنى الخضوع والتواضع وعند مقاتل[4] بمعنى الإخلاص[5].

---

[1] احمد بن حنبل **مسند أحمد بن حنبل** مسند عبدالله بن مسعود حديث رقم(3632) (383/1)، قال الهيثمي: فيه أبو عبيدة ولم يسمع من أبيه ولكن رجاله ثقات، انظر : علي بن أبي بكر الهيثمي، (ت: 807هـ) **مجمع الزوائد** 10مج، القاهرة ، دار الريان، بيروت، دار التراث،(1407هـ) (87/6).

[2] انظر: ابن منظور **لسان العرب** (27/2)

[3] انظر : ابن القيم **مدارج السالكين** (3/2)

[4] مقاتل بن سليمان بن بسير الأزدي الخراساني أبو الحسن البلخي نزيل مرو ويقال له بن دوال كذبوه وهجروه ورمى بالتجسيم، قال عنه البخاري: منكر الحديث، من السابعة مات سنة خمسين ومائة، انظر: الجرجاني عبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمد أبو أحمد **الكامل في ضعفاء الرجال** تحقيق: يحيى مختار غزاوي، بيروت ، دار الفكر (ط 3 /1409ه / 1988م) (435/6)، وابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي، **تقريب التهذيب** تحقيق: محمد عوامة، سوريا دار الرشيد (ط1 1406ه /1986م) (545).

[5] انظر: القرطبي **الجامع لأحكام القرآن** (21/9)

والإخبات هو حالة من حالات القلب السليم وصفة من صفاته وهو من صفات العلماء كما ذكر الله تعالى في قوله:"وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ"[1]. فسر الأصفهاني الإخبات هنا بالخضوع واللين والخشوع[2].

ومن الملاحظات على هذه الآية اقتران الإخبات بالعلم والإيمان فإنّ نتيجة العلم والإيمان هو الإخبات.

قال ابن القيم:" اعلم أنه متى استقرت قدم العبد في منزلة الإخبات وتمكن فيها ارتفعت همته وعلت نفسه عن خطفات المدح والذم فلا يفرح بمدح الناس ولا يحزن لذمهم وهذا وصف من خرج عن حظ نفسه وتأهل للفناء في عبودية ربه وصار قلبه مطرحا لأشعة أنوار الأسماء والصفات وباشر حلاوة الإيمان واليقين قلبه"[3]

إنّ قلوب العلماء إذا امتلأت بالعلم والتقوى والخضوع فإنها ستصبح قلوباً مخبتة إلى الله تعالى ساكنة مطمئنة.

المبحث الثاني

أسباب صلاح القلب

القلب مصدر السعادة أو الشقاء لصاحبه فإن كان ذو بصيرة وراقب الله تعالى فهو من أصحاب القلوب السليمة الصحيحة وإنه حتماً سينال رضا الله وسيفوز بجنته وإن كان صاحب نفس أمارة بالسوء تأمره بالمعصية والفحشاء فهو من أصحاب القلوب المريضة وسيظل في شقاء دائم.

---

[1] (الحج: 54)

[2] انظر: الأصفهاني **المفردات في غريب القرآن** (141)

[3] ابن القيم **مدارج السالكين** (6/2)

وحتى يكون القلب سليماً لا بد من البحث عن أسباب صلاحها وسلامتها. وسنعرض عدة مطالب تبين أهم هذه الأسباب.

المطلب الأول : ذكر الله والإقبال على كتاب الله تعالى

أولاً : ذكر الله

قال تعالى: " ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ "[1]. يفهم من الآية أنه لا راحة ولا استقرار للقلوب إلا بمعرفة الله والمداومة على ذكره كما يفهم أنّ قلقها وعذابها إنّما يكون بإعراضها عن ذكر الله تعالى.

إنّ ذكر الله تعالى يورث حياة القلب ويورث جلاءه من صداه وهو قوت القلب وغذاء الروح فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته ويورث العبد الهيبة لربه عز وجل وإجلاله وحضوره مع الله تعالى بخلاف الغافل فانّ حجاب الهيبة رقيق في قلبه. وذكر الله تعالى يزيل الهم والغم عن القلب ويجلب للقلب الفرح والسرور [2].

قال أبو الدرداء رضي الله عنه:" **إن لكل شيء جلاء وإن جلاء القلوب ذكر الله عز وجل**"[3].

وقال ابن القيم:" فالطمأنينة إلى الله سبحانه حقيقة ترد منه سبحانه على قلب عبده تجمعه عليه وترد قلبه الشارد إليه حتى كأنه جالس بين يديه يسمع به ويبصر به ويتحرك به ويبطش به فتسرى تلك الطمأنينة في نفسه وقلبه ومفاصله وقواه الظاهرة والباطنة تجذب روحه إلى الله ويلين جلده وقلبه ومفاصله إلى خدمته والتقرب إليه ولا يمكن حصول الطمأنينة الحقيقية إلا بالله وبذكره وهو كلامه الذي أنزله على رسوله كما قال تعالى :"الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب" فإن طمأنينة القلب سكونه واستقراره بزوال القلق والانزعاج

---

[1] (الرعد: 28)

[2] انظر: ابن القيم، أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، ،(ط1 1405هـ/1985 م)، بيروت، دار الكتاب العربي ،(63).

[3] البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت:241ه)، **شعب الإيمان**، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول،(ط،1410هـ) بيروت، دار الكتب العلمية، (396).

والاضطراب عنه وهذا لا يتأتى بشيء سوى الله تعالى وذكره البتة وأما ما عداه فالطمأنينة إليه غرور والثقة به عجز قضى الله سبحانه وتعالى قضاء لا مرد له أن من اطمأن إلى شيء سواه أتاه القلق "[1].

فذكر الله تعالى إذن هو دواء القلوب و جلاؤها فلا غنى لنا عن ذكر الله تعالى في جميع الأوقات لا سيما في أدبار الصلوات والالتزام بأذكار الصباح والمساء فإنها مما يصلح القلب .

ثانياً : الإقبال على كتاب الله

لا أحد يعرف حقيقة القلوب وأمراضها إلا خالقها ولا يعرف دواءها أو كيف يكون شفاؤها إلا هو سبحانه ولذلك فإننا نجزم بأنّ في كتاب الله تعالى الشفاء الناجح الكامل لكل مرض قلبي مستعصٍ.

قال تعالى :" **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ**"[2]. أي:" قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الأعمال ومقابحها المرغبة في المحاسن والزاجرة عن المقابح وللحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى إلى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث أنزلت عليهم فنجو بها من ظلمات الضلالة إلى نور الإيمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان"[3].

إنّه لا شيء يزكي القلب ولا شئ يقويه ويثبته مثل كلام الله تعالى وذكره ففيه النور والهداية والشفاء والموعظة.

---

[1] ابن القيم، أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي **الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة** (1395 هـ/ 1975 م) ، بيروت، دار الكتب العلمية ، بلا طبعة ولا سنة نشر،(220)

[2] (يونس: 57)

[3] البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** (204/3)

فالأخذ بالقرآن العظيم تلاوة وتدبراً وتعلماً من أسباب صلاح القلوب واستقامتها فقد أنزل الله سبحانه وتعالى هذا الكتاب شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين فالقرآن وحده الشافي من أمراض الشبهات والشهوات.

قال ابن القيم رحمه الله: "جماع أمراض القلب هي أمراض الشبهات والشهوات والقرآن شفاء للنوعين ففيه من البينات والبراهين القطعية ما يبين الحق من الباطل فتزول أمراض الشبه المفسدة للعلم والتصور والإدراك"[1].

وقال تعالى:" وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ"[2].

المطلب الثاني : الإيمان بالله

إنّ الله تعالى هو الذي يهدي هذا القلب ويصلحه ويرشده كما أنّ ثمرة الإيمان بالله سبحانه هو هداية القلب الذي هو سبب استقامة الإنسان ومن ثم انطلاق هذا الإنسان بكل جوارحه إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى :"وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ"[3] فالقضية الكبرى والأخطر التي تم ربطها مع هداية القلب هي قضية الإيمان بالله سبحانه القضية المركزية في الحياة.

قال السعدي:" فإن الله أخبر أن كل من آمن أي الإيمان المأمور به وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وصدق إيمانه بما يقتضيه الإيمان من لوازمه وواجباته أن هذا السبب الذي قام به العبد أكبر سبب لهداية الله له في أقواله وأفعاله وجميع أحواله وفي علمه وعمله وهذا أفضل جزاء يعطيه الله لأهل الإيمان ... فأهل الإيمان أهدى الناس قلوبا وأثبتهم عند المزعجات والمقلقات وذلك لما معهم من الإيمان"[4]

---

[1] ابن القيم، **إغاثة اللهفان** (44)

[2] (الإسراء:82)

[3] (التغابن:11)

[4] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** (867/1)

إنّ لمعة الإيمان تكون في القلب أولاً وذلك بالتفكر والتدبر فإذا استقر الإيمان في القلب سرعان ما تكون النجاة فإنّ القلب سيمسك زمام أمور صاحبه ليقود جوارحه في طريق الاستقامة مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم:" **ألا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ألا وَهِيَ الْقَلْبُ**"[1].

المطلب الثالث : التوبة والاستغفار

إنّ الذنوب والمعاصي هي التي تفسد القلوب وتقسيها وهي التي تطمس القلوب وتختم عليها ولا زوال لهذه إلا بالتوبة وبالاستغفار ففيهما جلاء القلوب وصقلها وتحطيم أقفالها وزوال الختم والطبع عنها. ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" **تُعْرَضُ الْفِتَنُ على الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ ...**"[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :" القلب إذا تاب من الذنوب كان استفراغاً من تخليطاته حيث خلط عملا صالحا وآخر سيئا فإذا تاب من الذنوب تخلصت قوة القلب وإراداته للأعمال الصالحة واستراح القلب من تلك الحوادث الفاسدة التى كانت فيه"[3]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **إنه لَيُغَانُ[4] على قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ في الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**"[5] فالتوبة والاستغفار يزيلان ما علق بالقلب من الهموم والأحزان بسبب الغفلة والمعصية.

قال تعالى:"**إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ**"[6] فقد ذكر القرطبي أنه قيل في تفسيرها:" مالت قلوبكما إلى التوبة"[1]. فالذنوب والمعاصي مانع من إصغاء القلوب للتوبة والإنابة.

---

[1] سبق تخريجه ص1

[2] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، بَاب بَيَانِ أَنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا وإنه يَأْرِزُ بين الْمَسْجِدَيْنِ (129/1)

[3] ابن تيمية،**مجموع الفتاوى** (97/10)

[4] الغين: ما يتغشى القلب ، انظر: النووي، **شرح النووي على صحيح مسلم** (23/17)

[5] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار،باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه حديث رقم(2702) (2075/4)

[6] (التحريم:4)

المطلب الرابع : تعظيم أمر الله ونهيه

لا دلة واضحة على الإيمان بالله تعالى إذا لم يكن هناك شعور وجداني داخلي بهيبة وعظمة الأوامر من المشرع ، وإنها ليست أوامر ونواهي مجردة، وإنما ممزوجة بالشعور بالهيبة و العظمة بما يليق بجلال الله تعالى وجبروته.

قال تعالى:" **ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ** "[2] وتعظيم شعائر الله هو : استحسان البدن واستسمانها وأداء مناسك الحج على ما أمر الله عز وجل[3] . والآية وإن وردت في ذلك لكنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومفاد الآية واضح وهو أنّ تعظيم أمر الله واتباعه وتعظيم نهيه واجتنابه يدل على تعظيم العبد لخالقه وتقديره حق قدره وبذلك ينال المرء رضا ربه وينعم بقلب تقي صالح.

والمقصود بتقوى القلوب لله هو: عبادتها له وحده دون ما سواه بغاية العبودية له والعبودية فيها غاية المحبة وغاية الذل والإخلاص وهذا كله مما يبين أن عبادة القلوب هي الأصل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :" **ألا وَإِنَّ في الْجَسَدِ مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ألا وَهِيَ الْقَلْبُ**"[4] ."[5]

المطلب الخامس : البعد عن أسباب فساد القلوب وخرابها (الحياء والعفة)

ومن أسباب صلاح القلوب وسلامتها الحرص على الابتعاد عن أسباب فسادها وخرابها فكل ما يفسد القلب يجب أن يحرص العبد على تجنبه والبعد عنه لأنّ القلب أعظم ما يملكه العبد وإذا فسد القلب فسدت الحياة الدنيا والآخرة.

قال تعالى: "**وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ** [6] .

---

[1] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** (188/18)

[2] (الحج:32)

[3] انظر : الطبري، **جامع البيان** (156/17)

[4] سبق تخريجه ص1

[5] انظر : ابن تيمية **مجموع الفتاوى** (485/17)

[6] الاحزاب : 53

ففي الآية خطاب للصحابة رضوان الله عليهم بأن لا ينظروا لأمهات المؤمنين ولا يسألوهن حاجة إلا من وراء حجاب فإنّ ذلك أطهر للقلوب من الخواطر النفسانية والشيطانية التي تعرض للرجال في أمر النساء وللنساء في أمر الرجال والمراد بالطهارة هنا من الريبة والدنس فالمعنى أنّ ذلك أنفى للريبة وأبعد للتهمة وأقوى في الحماية وهذا يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يثق بنفسه في الخلوة مع من لا تحل له فإن مجانبة ذلك أحسن لحاله وأحصن لنفسه وأتم لعصمته وأطهر لقلبه.[1]

فهذه الآية تبين حرص الإسلام على زرع خلق الحياء والعفة عند المسلمين رجالاً ونساءً فالحياء والعفة من طبيعة المسلم وهما سببان في سلامة القلب وصلاحه من الريبة والدنس.

وإذا كان الخطاب في الآية للصحابة ولأمهات المؤمنين فهذا يعني أنه لا يمكن لأي رجل أن يعتبر قلبه طاهراً أطهر من قلوب الصحابة ولا لأية امرأة أن تقول أنّ قلبها أطهر من قلوب أمهات المؤمنين أو الصحابيات.

ولا بد للمسلم أن يبتعد عن الأسباب التي تؤدي إلى فساد قلبه وخرابه حتى ينعم بقلب طاهر عفيف سالم من كل عيب فإن من أسباب صلاح القلوب تطهيرها مما يفسدها من الأمراض القلبية كالحسد والغل والعجب والرياء والشح فإن هذه الأمراض تفسد القلب وتصرفه عن صحته وسلامته فإنه لا نجاة للقلب إلا بالنجاة من هذه الأمراض.

قال السعدي: "وكلما بعد الإنسان عن الأسباب الداعية إلى الشر فإنه أسلم له وأطهر لقلبه فلهذا من الأمور الشرعية التي بين الله كثيرا من تفاصيلها أنّ جميع وسائل الشر وأسبابه ومقدماته ممنوعة وأنه مشروع البعد عنها بكل طريق "[2].

المطلب السادس: الابتلاءات والشدائد

---

[1] انظر: البيضاوي ، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** (384/4)، والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** (228/14)

[2] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** (670)

للابتلاءات والشدائد أثر كبير في رد العبد إلى ربه بتهذيب أخلاقه وتقويم سلوكه وترقيق قلبه بإزالة الحواجز المادية بينه وبين مولاه أيام الرخاء والصحة فإنّ معظم هذه الحواجز أو جميعها قد تزول أيام الشدائد وعليه فإنّ الشدائد والابتلاءات كثيراً ما تنكشف عن منح ربانية جزيلة قال تعالى في بيان أثر الابتلاء والشدة على الصحابة يوم أحد:" **وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ** "[1].

قال الراغب:" أصل المحص تخليص الشيء مما فيه من عيب كالفحص لكن الفحص يقال في إبراز شيء من أثناء ما يختلط به وهو منفصل عنه والمحص يقال في إبرازه عما هو متصل به يقال: محصت الذهب ومحصته إذا أزلت عنه ما يشوبه من خبث قال:"وليمحص الله الذين آمنوا" "وليمحص ما في قلوبكم" فالتمحيص ههنا كالتزكية والتطهير ونحو ذلك من الألفاظ"[2].

وقال سيد قطب:" والقلب الذي لا ترده الشدة إلى الله، قلب تحجر فلم تعد فيه نداوة تعصرها الشدة ومات فلم تعد الشدة تثير فيه الإحساس وتعطلت أجهزة الاستقبال الفطرية فيه، فلم يعد يستشعر هذه الوخزة الموقظة، التي تنبه القلوب الحية للتلقي والاستجابة، والشدة ابتلاء من الله للعبد، فمن كان حياً أيقظته، وفتحت مغاليق قلبه، وردته إلى ربه، وكانت رحمة له من الرحمة التي كتبها الله على نفسه ومن كان ميتا حُسبت عليه، ولم تفده شيئا، وإنما أسقطت عذره وحجته، وكانت عليه شقوة، وكانت موطئة للعذاب" [3]. فإنّ التعرض للابتلاءات والشدائد منحة من الله تعالى، والتي يكتنفها رحمة وحكمة ربانية عالمة بما يصلح حال القلب ويبعد عنه أي ضعف وخور وإن تعود القلب على السكون والهدوء يصيبه بخمول ، وهذا أخطر عليه في حال تعرضه لشدة وامتحان، فتلك الابتلاءات تعتبر تهيئة لهذا القلب وتدريب على مواجهة حتمية مع نوائب الدنيا وشدائدها.

المطلب السابع: التفكر في قدرة الله

---

[1] (آل عمران: 154)

[2] الأصفهاني **المفردات في غريب القرآن** (464)

[3] قطب **في ظلال القرآن** (1089/2)

التفكر في قدرة الله والنظر في مخلوقاته من أعظم العبادات التي يتقرب العبد من خلالها إلى ربه وحتماً سيقود المرء إلى الاستقرار القلبي والاطمئنان قال تعالى في وصف أولي الألباب: " إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ "[1].

إنّ التفكر في خلق السماوات والأرض مع التدبر لآيات القرآن من أعظم ما يصلح القلب بل لا أعظم من ذلك وقد وصف الله سبحانه من يجمعون بين عبادتي الذكر والفكر بأولي الألباب.

قال السعدي:" ثم وصف أولي الألباب بأنهم (يذكرون الله) في جميع أحوالهم قياما وقعودا وعلى جنوبهم وهذا يشمل جميع أنواع الذكر بالقول والقلب ويدخل في ذلك الصلاة قائما فإن لم يستطع فقاعدا فإن لم يستطع فعلى جنب وأنهم (يتفكرون في خلق السماوات والأرض) أي ليستدلوا بها على المقصود منها ودل هذا على أن التفكر عبادة من صفات أولياء الله العارفين فإذا تفكروا بها عرفوا أن الله لم يخلقها عبثا فيقولون (ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك) عن كل ما لا يليق بجلالك بالحق وللحق بل خلقتها مشتملة على الحق (فقنا عذاب النار) بأن تعصمنا من السيئات وتوفقنا للأعمال الصالحات لننال بذلك النجاة من النار ويتضمن ذلك سؤال الجنة لأنهم إذا وقاهم الله عذاب النار حصلت لهم الجنة ولكن لما قام الخوف بقلوبهم دعوا الله بأهم الأمور عندهم"[2].

المطلب الثامن: العلم وأثره على القلب

العلم وسيلة مهمة للنجاة ولحياة القلوب فمن أراد علاجاً ناجحاً لقلبه وطريقاً لحياته وصلاحاً له وسلامة فإنّ العلم من أعظم الوسائل لشفاء القلوب وصلاحها وهنا لا بد من الحرص على اكتساب العلم الديني أولاً إذ هو أشرف العلوم وبخاصة ما يتعلق بتوحيد الله تعالى ومعرفة أسمائه وصفاته وما يقرب إليه سبحانه وما يبعد عنه وما يتعلق بسنة النبي صلى الله عليه وسلم

[1] (آل عمران:190)

[2] السعدي **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** (161)

وسيرته والعلم بما كان عليه سلفنا الصالح رضوان الله عليهم والعلم بسير الأئمة العلماء الراسخين في العلم ثم العلم بآيات الله الكونية في السماوات وفي الأرض وفي النفوس البشرية قال تعالى:" سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ"[1]

وقد حذر القرآن من الإعراض عن العلم وبينّ نتيجة ذلك قال تعالى:" كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ"[2] فالطبع على القلوب عقاب رباني على معاصٍ يرتكبها العبد.

قال البيضاوي في تفسير قوله تعالى:(لا يعلمون) :" لا يطلبون العلم ويصرون على خرافات اعتقدوها فإن الجهل المركب يمنع إدراك الحق ويوجب تكذيب المحق"[3].

---

[1] (فصلت : 53)

[2] (الروم:59)

[3] البيضاوي **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** (343/4)

الفصل الرابع

القلب المريض وأسباب المرض

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : القلب المريض وصفاته

المبحث الثاني : أسباب مرض القلب

المبحث الأول

القلب المريض وصفاته

المرض هو نقيض الصحة[1] وهو كل ما يخرج به الإنسان عن حد الصحة[2].

قال ابن القيم في تعريف القلب المريض:" قلب له حياة وبه علة فله مادتان تمده هذه مرة وهذه أخرى وهو لما غلب عليه منهما ففيه من محبة الله تعالى والإيمان به والإخلاص له والتوكل عليه ما هو مادة حياته وفيه من محبة الشهوات وإيثارها والحرص على تحصيلها والحسد والكبر والعجب وحب العلو والفساد في الأرض بالرياسة ما هو مادة هلاكه وعطبه وهو ممتحن بين داعيين داع يدعوه إلى الله ورسوله والدار الآخرة وداع يدعوه إلى العاجلة وهو إنما يجيب أقربهما منه بابا وأدناهما إليه جوارا "[3].

قال تعالى:" فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ "[4]

وأمراض القلوب قسمان[5]:

الأول: مرض الشبهات الباطلة كالكفر والنفاق والشكوك والبدع.وهذا النوع هو ما تكلمت عنه الآية السابقة.

الثاني: مرض الشهوات المردية كالزنا ومحبة الفواحش والمعاصي وهذا النوع تكلمت عنه الآية الكريمة:" يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ۚ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ "[6] فالمرض هنا شهوة الزنا والفجور.

وللشيطان أثر كبير على القلوب المريضة قال تعالى:" لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ "[7]. تبين الآية أنّ صاحب القلب المريض يكون فريسة سهلة للشيطان للشيطان يفتنه عن دينه ويسبب له الشكوك والريبة.

---

[1] انظر: ابن منظور **لسان العرب** (231/7)

[2] انظر: ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة** (311/5)

[3] ابن القيم، **إغاثة اللهفان** (9)

[4] (البقرة:10)

[5] انظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** (42)

[6] (الأحزاب: 32)

[7] (الحج: 53)

وقال تعالى:" وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا "[1]. وأصحاب القلوب المريضة في هذه الآية هم ضعاف الإيمان من المؤمنين دون المنافقين فهم حديثو عهد بالإسلام وإيمانهم ما زال ضعيفاً لذلك قالوا مقالة المنافقين[2].

وفيما يلي عرض لبعض صفات القلب المريض.

المطلب الأول: اللهو

اللهو لغة هو: ما يلهي الإنسان ويشغله قال ابن فارس : " اللهو كل شيء شغلك عن شيء فقد ألهاك "[3].

وقال الجرجاني في تعريفاته:" الشيء الذي يتلذذ به الإنسان فيلهيه ثم ينقضي"[4].

واللهو من أمراض القلوب فإذا غفلت القلوب وأعرضت عن ذكر الله وإذا فرغت من الحق وتركته صارت قلوب لاهية بما لا يضرها ولا ينفعها قال تعالى:"مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ "[5].

أي معرضة قلوبهم عن ذكر الله متشاغلة عن التأمل والتفهم[6].

وسياق الآيات في الحديث عن الكفار الذين لا يسمعون الحق إلا وهم لاعبون لاهون عنه فالقلوب التي هي محل التدبر والتفكر إذا تعطلت وفرغت من ذلك صارت تلهو وتلعب فلا تعي شيئا مما تسمعه من آيات الذكر .

---

[1] (الأحزاب: 12)

[2] انظر: الطبري **جامع البيان** (20/10)/ و القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** (27/8)

[3] ابن فارس **معجم مقاييس اللغة** (213/5)

[4] الجرجاني **التعريفات** (248)

[5] (الأنبياء:3/2)

[6] انظر: القرطبي **الجامع لأحكام القرآن** (268/11)

"والحساب يقترب وهم في غفلة . والآيات تعرض وهم معرضون عن الهدى . والموقف جد وهم لا يشعرون بالموقف وخطورته . وكلما جاءهم من القرآن جديد قابلوه باللهو والاستهتار واستمعوه وهم هازلون يلعبون إنها صورة للنفوس الفارغة التي لا تعرف الجد فتلهو في أخطر المواقف وتهزل في مواطن الجد وتستهتر في مواقف القداسة . فالذكر الذي يأتيهم يأتيهم (من ربهم) فيستقبلونه لاعبين بلا وقار ولا تقديس ... وهؤلاء الذين يصفهم القرآن الكريم كانوا يواجهون ما ينزل من القرآن ليكون دستورا للحياة ومنهاجا للعمل وقانونا للتعامل باللعب . ويواجهون اقتراب الحساب بالغفلة . وأمثال هؤلاء موجودون في كل زمان . فحيثما خلت الروح من الجد والاحتفال والقداسة صارت إلى هذه الصورة المريضة الشائهة التي يرسمها القرآن . والتي تحيل الحياة كلها إلى هزل فارغ لا هدف له ولا قوام" [1].

قال الرازي:" إنّ ذلك ذم للكفار وزجر لغيرهم عن مثله لأن الانتفاع بما يسمع لا يكون إلا بما يرجع إلى القلب من تدبر وتفكر وإذا كانوا عند استماعه لاعبين حصلوا على مجرد الاستماع الذي قد تشارك البهيمة فيه الإنسان"[2].

مسألة : قد يسأل سائل ما الفرق بين اللهو واللعب في القرآن الكريم؟

قال أبو هلال العسكري:" لهو لا لعب وقد يكون لعب ليس بلهو لأنّ اللعب يكون للتأديب كاللعب بالشطرنج ولا يقال لذلك لهو وإنما اللهو لعب لا يعقب نفعاً وسمي لهواً لأنه يشغل عما يعني من قولهم ألهاني الشيء أي: شغلني ومنه قوله تعالى:(ألهاكم التكاثر)"[3].

وقال ابن القيم:" لها بالشيء: أي اشتغل به ولها عنه: إذا انصرف عنه واللهو للقلب واللعب للجوارح ولهذا يجمع بينهما ولهذا كان قوله:" ألهاكم التكاثر"[4] أبلغ في الذم من" شغلكم" فإنّ العامل قد يستعمل جوارحه بما يعمل وقلبه غير لاهٍ به فاللهو ذهول وإعراض"[1].

---

[1] قطب **في ظلال القرآن** (2367/4)

[2] الرازي **التفسير الكبيرأو مفاتيح الغيب** (122/22)

[3] أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت: 395) **الفروق في اللغة** بيروت دار الآفاق الجديدة (ط1/ 1393هـ/ 1973م) (248)

[4] (التكاثر: 1)

وعليه فإنّ تلقي الهدي إن لم يكن توجه حقيقي للقلب قاصداً وطالباً بحرص على استحقاق النور فإنّ الاستخفاف وعدم الاهتمام بذلك للانشغال بامور تافهة يدل على انّ صاحبه فاقد لعقل قويم يرشده لما فيه خير وما يجعل العبد لاهياً عن تلقي الهدى دليل على حرص وسقم في القلب.

والتفريق الذي ذكره العسكري قريب للصواب، فاللهو مذموم بذكره في مواطن في القرآن واللعب يغلب عليه جانب التأديب بشموله الجوارح دون القلب في كثير من المواطن كاللعب في المسجد الذي يهدف إلى الترويح والفائدة.

المطلب الثاني: الإنكار

قال ابن فارس :" النون والكاف والراء أصل صحيح يدل على خلاف المعرفة التي يسكن إليها القلب ونكر الشيء وأنكره لم يقبله قلبه ولم يعترف به لسانه"[2].

والقلب المريض قلب منكر وقد وصفه تعالى بقوله:" إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ"[3].

فالقلوب المنكرة هي التي لا تقبل الوعظ ولا ينفع فيها الذكر وأصحابها متكبرون متعظمون عن قبول الحق[4].

إنّ إنكار القلوب سببه الكبر والعناد والذي نتج عنه إنكار التوحيد وعدم الإقرار والإيمان بالآخرة.

قال الرازي: " والمعنى أن الذين يؤمنون بالآخرة ويرغبون في الفوز بالثواب الدائم ويخافون الوقوع في العقاب الدائم إذا سمعوا الدلائل والترغيب والترهيب خافوا العقاب فتأملوا وتفكروا فيما يسمعونه فلا جرم ينتفعون بسماع الدلائل ويرجعون من الباطل إلى الحق أما الذين لا يؤمنون بالآخرة وينكرونها فإنهم لا يرغبون في حصول الثواب ولا يرهبون من الوقوع في

---

[1] ابن القيم **الفوائد** (46)

[2] ابن فارس **معجم مقاييس اللغة** (476/5)

[3] (النحل:22)

[4] انظر: القرطبي **الجامع لأحكام القرآن** (95/10)

العقاب فيبقون منكرين لكل كلام يخالف قولهم ويستكبرون عن الرجوع إلى قول غيرهم فلا جرم يبقون مصرين على ما كانوا عليه من الجهل والضلال"[1].

المطلب الثالث: الإثم

الإثم لغة : "الذنب وقيل هو أن يعمل ما لا يحل له"[2] قال الراغب :" والأثام اسم للأفعال المبطئة عن الثواب"[3].

وقد ذكر الله عز وجل في كتابه العزيز القلب الآثم في قوله تعالى:"**وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**"[4].

قال القرطبي: (خُصَّ القَلْب بِالذِّكْر إذ الكَتم من أفعاله ، وإذ هو المضغة التي بِصلاحها يَصلح الجسد كله ، كما قال عليه السلام ، فَعَبَّر بالبعض عن الجملة . وقال الكِيَا : لَمَّا عَزَم على ألاَّ يُؤدّيها وتَرْك أداءها باللسان رَجَع المأثم إلى الوجهين جميعا ... وهو من بديع البيان ولطيف الإعراب عن المعاني . يُقال : إثم القلب سَبب مَسْخِه ، والله تعالى إذا مَسَخ قَلْبًا جَعَله مُنَافِقا وطَبع عَلَيه ، نعوذ بالله منه"[5] .

فكتمان الشهادة من معاصي القلب التي تفسده ومن يكتمها فإن قلبه يصير آثماً وبالتالي فإنه سيعود بالوبال على بقية الأعضاء فهو سيدها في حالة الصلاح أو الفساد.

وقد أسند الإثم إلى القلب لأنه أشرف الأعضاء ورئيسها وفعله أعظم من أفعال سائر الجوارح وهذا يدل على أنّ الكتمان من أعظم الذنوب[6] وقيل :" أسند الإثم إلى القلب لئلا يظن

---

[1] الرازي **التفسير الكبيرأو مفاتيح الغيب** (17/20)

[2] ابن منظور **لسان العرب** (5 12)

[3] الأصفهاني **المفردات في غريب القرآن** (10)

[4] (البقرة:283)

[5] القرطبي **الجامع لأحكام القرآن** (415/3)

[6] انظر: الآلوسي **روح المعاني** (63/3)

أن كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم أن القلب أصل متعلقه ومعدن اقترافه وقيل : للإشارة إلى أن أثر الكتمان يظهر فى قلبه"[1].

المطلب الرابع: الريبة

الريب : الشك[2] وقد يأتي بمعنى الخوف تقول : رابني الأمر : إذا دخل عليك منه الشك والخوف[3].

وقد ذكر الله تعالى الريب في كتابه ونسبه إلى القلب في أكثر من موضع قال تعالى:" **إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ** "[4] "[4] فهذه حال المنافقين أصحاب القلوب الحائرة فهم لا يستشعرون معنى الإيمان بالله ولا يدركون أنَ هناك حساباً وجزاءً لذلك فهم يترددون في حيرتهم وشكهم وهم الذين استأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم في عدم الخروج للقتال في غزوة تبوك فقد ملأت الريبة والحيرة قلوبهم فحتى لو لم يأذن لهم رسول الله لما خرجوا.

قال سيد قطب:" وهذه هي القاعده التي لا تخطئ فالذين يؤمنون بالله ويعتقدون بيوم الجزاء لا ينتظرون أن يؤذن لهم في أداء فريضة الجهاد ولا يتلكأون في تلبية داعي النفرة في سبيل الله بالأموال والأرواح بل يسارعون إليها خفافاً وثقالاً كما أمرهم الله طاعة لأمره ويقيناً بلقائه وثقه بجزائه وابتغاء لرضاه. وإنهم ليتطوعون تطوعاً فلا يحتاجون من يستحثهم فضلاً عن الإذن لهم. إنما يستأذن أولئك الذين خلت قلوبهم من اليقين فهم يتلكأون ويتلمسون المعاذير لعل عائقاً من العوائق يحول بينهم وبين النهوض بتكاليف العقيدة التي يتظاهرون بها وهم يرتابون فيها ويترددون.

---

[1] المرجع السابق (63/3)

[2] انظر: ابن منظور **لسان العرب** (441/1)

[3] انظر: ابن فارس **معجم مقاييس اللغة** (463/2)

[4] (التوبة: 45)

إنّ الطريق إلى الله واضحة مستقيمة فما يتردد ويتلكأ إلا الذي لا يعرف الطريق أو الذي يعرفها ويتنكبها اتقاء لمتاعب الطريق"[1].

إنّ عدم الإيمان بالله عز وجل والشك في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم يؤدي إلى ريب القلب وحيرته قال تعالى :" **أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ** "[2]. فلا يخرج حال هؤلاء المنافقين عن أن يكون في قلوبهم مرض ملازم لها أو دخلها الشك في الدين أو يخافون أن يظلمهم الله ورسوله في الحكم[3].

والكيد لدين الله والصد عن سبيله سبب في وقوع الريبة في القلب قال تعالى:" **لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْاْ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** "[4].

فهذه الآية في الحديث عن مسجد ضرار الذي بني لأبي عامر الراهب الذي كان قد تنصر في الجاهلية وقرأ علم أهل الكتاب وكان المشركون يعظمونه ويسمعون له فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ورأى اجتماع المسلمين عليه فأراد مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم وفرّ إلى الكافرين يحرضهم على قتال النبي صلى الله عليه وسلم ثمّ إلى هرقل ملك الروم فكتب إلى جماعة من قومه أن يبنوا له معقلاً يقدم عليهم فيه فقام جماعة من المنافقين ببناء مسجد ضرار بالقرب من مسجد قباء وطلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يصلي فيه حتى يعتمدوه فنزلت هذه الآيات والقصة مشهورة في ذلك[5].

والآية تبين أنّ الحيرة والريبة ستظل في قلوبهم بسبب فعلهم هذا ولن تطمئن قلوبهم ولا تهدأ إلا إذا تقطعت بالموت.

قال الزمخشري:" **(لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِى بَنَوْاْ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِم)** لا يزال هدمه سبب شكّ ونفاق زائد على شكّهم ونفاقهم لا يزول وسمه عن قلوبهم ولا يضمحلّ أثره (إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ

---

[1] قطب **في ظلال القرآن** (1662/3)

[2] (النور: 50)

[3] انظر: ابن كثير **تفسير القرآن العظيم** (299/3)

[4] (التوبة:110)

[5] انظر: ابن كثير **تفسير القرآن العظيم** (388/2)

قُلُوبُهُمْ) قطعاً وتفرّق أجزاء فحينئذٍ يسلون عنه وأمّا ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة"[1].

المطلب الخامس :التقلب

ما سمي القلب قلبا إلا من تقلبه، فتارة يكون ممتلئا إيمانا ويقينا، مما يورثه سعادة وانشراحا، وتارة يضعف إيمانه ويضيق عليه صدره .

وقد وردت آيات في القرآن تبين أن الله يقلب القلوب فقد قال تعالى :" **وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ** "[2]. فهؤلاء المكذبون الذين تعطلت جوارحهم وحواسهم الذين جحدوا وكفروا وزاغوا عن الحق قلب الله قلوبهم وأبصارهم فلا يصل إليها إيمان ولا هدى عقوبة لهم على إعراضهم بعد أن تبين لهم الحق.

قال ابن عباس :"لما جحد المشركون ما أنزل الله لم تثبت قلوبهم على شيء وردت عن كل أمر"[3].

قال أبو السعود:" أي وما يشعركم أنا نقلب أفئدتهم عن إدراك الحق فلا يفقهونه وأبصارهم عن اجتلائه فلا يبصرونه"[4].

وعندما يتقلب القلب فإن ذلك سيؤدي إلى التردد في الحقائق كما بينت الآية ﴿ **كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ** ﴾[5]

إنّ القلب الذي لا يؤمن بالله وآياته المبثوثة في هذا الوجود ... ولا توحي آيات الله المبثوثة في الأنفس والآفاق إليه أن يبادر إلى ربه ويثوب إلى كنفه إنّ هذا القلب هو قلب مقلوب ... إنّ الله هو الذي يعلم حقيقة هذه القلوب وهو يذر المكذبين في طغيانهم يعمهون لأنه يعلم منهم أنهم يستحقون جزاء التكذيب كما يعلم عنهم أنهم لا يستجيبون لا يستجيبون ولو أنزل إليهم الملائكة

---

[1] الزمخشري **الكشاف** (298/2)

[2] (الأنعام:110)

[3] الطبري **جامع البيان**، (314/7)

[4] أبو السعود **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** (3 173)

5 الانعام 110 .

كما يقترحون والفائدة العلمية والتربوية التي يكسبها المسلم من هذه المعرفة هي أن يديم اللجوء إلى الله والإستغاثة به كي يثبت قلبه كما كانت حال النبي صلى الله عليه وسلم كما يوضحه الحديث الوارد في إكثاره من الدعاء يثبت الله قلبه.

قال ابن القيم:"إن العبد إذا علم أن الله سبحانه وتعالى هو مقلب القلوب وأنه يحول بين المرء وقلبه وأنه تعالى كل يوم هو في شأن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وأنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء ويرفع من يشاء ويخفض من يشاء فما يؤمنه أن يقلب الله قلبه ويحول بينه وبينه ويزيغه بعد إقامته وقد أثنى الله على عباده المؤمنين بقولهم (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) فلولا خوف الإزاغة لما سألوه أن لا يزيغ قلوبهم"[1]

المطلب السادس: الغلف

القلب الأغلف هو الذي عليه غلاف وهو الغشاء فيمنعه من العلم والفهم[2] .

قال تعالى عن اليهود :"وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ"[3].

قال ابن جزي:" (غلف) جمع أغلف أي عليها غلاف وهو الغشاء فلا تفقهه (بل لعنهم الله) ردا عليهم وبيان أن عدم فقههم بسبب كفرهم"[4]

وقد ذكر الإمام الرازي في الآية ثلاثة أوجه[5]:

الأول : قلوبنا مغشاة بأغطية فلا تصل الدعوة لها.

الثاني : غلف بمعنى أنها مملوءة بالحكمة والمعرفة فلا حاجة بهم إلى دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم.

---

[1] ابن القيم أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، **طريق الهجرتين** تحقيق عمر بن محمود أبو عمر (ط2/ 1414هـ/1994م)،الدمام،دار ابن القيم ،(431)

[2] انظر: ابن منظور **لسان العرب** (271/9)، وابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل،(53/1)

[3] (البقرة: 88)

[4] ابن جزي محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي **التسهيل لعلوم التنزيل** (53/1)

[5] انظر: الرازي **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب** (163/3)

الثالث : غلف كالغلاف الخالي الذي لا شيء فيه.

وروي عن ابن عباس أنها القلوب التي في أكنة المطبوع عليها التي لا تفقه وروي عن مجاهد أنها القلوب التي عليها غشاوة وعن عكرمة عليها طابع وعن السدي عليها غطاء[1].

وهذه الأقوال بمعنى القول الأول ومما يؤيده ما رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص:" **أنت عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ ليس بِفَظٍّ ولا غَلِيظٍ ولا سَخَّابٍ في الْأَسْوَاق ولا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ وَلَنْ يَقْبِضَهُ الله حتى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إلا الله وَيَفْتَحُ بها أَعْيُنًا عُمْيًا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا**"[2] **ومحل الشاهد قوله:" وَيَفْتَحُ بها أَعْيُنًا عُمْيًا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا".**

وقد اختلف القراء في قراءة كلمة غلف فقرأها الجمهور بإسكان اللام فيكون المعنى أنهم قالوا قلوبنا في أكنة وأغطية وغلف وهناك من قرأها غلف بتحريك اللام وضمها وبذلك يكون المعنى أنّهم قالوا قلوبنا غلف للعلم بمعنى أنّها أوعية[3].

وقد يستدل لصحة القول الثاني وهو دعواهم أنّ قلوبهم مملوءة بالحكمة والمعرفة أنّ القرآن رد عليهم بقوله:" بل لعنهم بكفرهم" فنفى زعمهم ودعواهم وكما في قوله تعالى:" **فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا** "[4].

---

[1] انظر:الطبري، **جامع البيان** (407/1)

[2] البخاري **صحيح البخاري** كتاب البيوع باب كراهية السخب في السوق حديث رقم(2018) (747/2).

[3] انظر: الطبري، جامع البيان،(407/406/1)

[4] (النساء:155)

المطلب السابع: العمى

العمى ذهاب البصر والعمى ذهاب نظر القلب [1]. والعمى يطلق على افتقاد البصر والبصيرة يقال للأول أعمى وفي الثاني أعمى وعمٍ[2].

وقد نسب الله تعالى العمى إلى القلب ووصفه به فقال في كتابه العزيز:" **أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ** "[3].

وفي الآية توجيه للنظر في مصارع الغابرين مع سؤال استنكاري عن أثر هذه المشاهد في نفوس الكفار والمشركين أفلم تكن لهم قلوب يدركون بها ما وراء هذه الآثار؟ أفلم تكن لهم آذان يسمعون بها أحاديث الأحياء عن تلك الدور المهدمة والقصور الموحشة؟ فإنهم يرون ولا يدركون ويسمعون ولا يعتبرون.

ويحدد الله عز وجل مواضع القلوب في الصدور زيادة في التوكيد ولأجل إثبات العمى لتلك القلوب. ولولا عمى هذه القلوب لجاشت بالعبرة والذكرى ولجنحت إلى الإيمان[4].

قال صاحب أضواء البيان :" عمى العين مع إبصار القلب لا يضر بخلاف العكس فإن أعمى العين يتذكر فتنفعه الذكرى ببصيرة قلبه"[5].

ومن عقوبة المعصية أنها تعمي بصيرة القلب وتسد طريق العلم وتحجب مواد الهداية ولا يزال ظلام المعصية يقوى حتى يصير القلب في مثل الليل البهيم ثم تقوى تلك الظلمات وتفيض من القلب إلى الجوارح فيغشى الوجه منها السواد بحسب قوتها وتزايدها[6] .

---

[1] انظر: ابن منظور **لسان العرب** (95/10) و الزبيدي **تاج العروس** (108/39)

[2] انظر: الأصفهاني **المفردات في غريب القرآن** (348)

[3] (الحج: 46)

[4] انظر: قطب **في ظلال القرآن** (2430/4)

[5] الشنقيطي **أضواء البيان** (177/3)

[6] انظر: ابن القيم أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، **الداء والدواء** تحقيق محمد جميل غازي القاهرة مطبعة مطبعة المدني جدة دار المدني (ط2/ 1410 هـ/1989م) (99).

المطلب الثامن: القسوة

القسوة : الصلابة في كل شيء ومعناها هاهنا غلظ القلب وذهاب اللين والرحمة والخشوع منه[1].

وذكر ابن القيم أنّ القسوة :" يبس في القلب يمنعه من الانفعال وغلظة تمنعه من التأثر بالنوازل فلا يتأثر لغلظته وقساوته لا لصبره واحتماله"[2].

وقد ورد لفظ القسوة في القرآن منسوباً إلى القلب في مرات عدة فقد بين الله عز وجل في كتابه العزيز أنّ القلوب إذا خلت من الرحمة واللين حلّ محلها القسوة والجفاء حتى تصير كالحجارة بل أشد قسوة وقد وصف الله تعالى بني اسرائيل وخاطبهم بقوله: "ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً"[3].

فقلوبهم من شدة قسوتها وافتقادها للخشوع والرحمة صارت أشد قسوة من الحجارة. وما ذلك إلا لبعدهم عن كتاب الله وهجرهم له وانغماسهم في دنياهم فقال تعالى حاثاً عباده على ذكره وطاعته وعدم الاقتداء بمثل هؤلاء :"أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ "[4].

قال سيد قطب:" إنّ هذا القلب البشري سريع التقلب سريع النسيان. وهو يشف ويشرق فيفيض بالنور ويرف كالشعاع فإذا طال عليه الأمد بلا تذكير ولا تذكر تبلد وقسا وانطمست إشراقته وأظلم وأعتم فلا بد من تذكير هذا القلب حتى يذكر ويخشع ولا بد من الطرق عليه حتى يرق ويشف ولا بد من اليقظة الدائمة كي لا يصيبه التبلد والقساوة"[5].

---

[1] انظر: ابن منظور **لسان العرب** (181/15)، والأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن** (404)

[2] ابن القيم **الروح** (214)

[3] (البقرة: 74)

[4] (الحديد: 16)

[5] سيد قطب **في ظلال القرآن** (3489/6)

وفي الحديث عن أبي حَرْبِ بن أبي الْأَسْوَدِ عن أبيه قال:" **بَعَثَ أبو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ إلى قُرَّاءِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَدَخَلَ عليه ثلاثمائة رَجُلٍ قد قرؤوا الْقُرْآنَ فقال أَنْتُمْ خِيَارُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَقُرَّاؤُهُمْ فأتلوه ولا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ الْأَمَدُ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ كما قَسَتْ قُلُوبُ من كان قَبْلَكُمْ**".[1]

فهذا بيان لمضمون الآية وتحذير لأهل البصرة الخيار وهم أصحاب علم ومعرفة من السير على نهج من كان قبلهم من الأمم في قسوة القلب.

كما أنّ القلوب القاسية إذا زادت في قسوتها ولم ترتجع إلى الله بالخشوع والإنابة تستحق أن يقع بها عقاب الله وهلاكه وحتى بعد أن يقع العذاب لا تعتبر وتتعظ لقسوتها بعكس القلوب المؤمنة التي تعتبر.

قال تعالى:" **فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**"[2].

إنّ الخاشعين الذاكرين تلين قلوبهم لذكر الله وتقشعر جلودهم عندما تتلى عليهم آياته لكن القاسية قلوبهم لا تلين قلوبهم لذكر الله بل تظل معرضة عن كتاب الله ولا تتأثر به. قال تعالى:" **أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ** "[3]. قال السعدي:" أي لا تلين لكتابه ولا تتذكر آياته ولا تطمئن بذكره بل هي معرضة عن ربها ملتفتة إلى غيره فهؤلاء لهم الويل الشديد والشر الكبير (أولئك في ضلال مبين) وأي ضلال أعظم من ضلال من أعرض عن وليه ومن كل السعادة في الإقبال عليه وقسا قلبه عن ذكره وأقبل على كل ما يضره"[4].

إنّ القلب المريض بالقسوة والغلظة بعيد عن توفيق الله وإعانته فقد مال إلى الدنيا وانشغل بها وأنساه الشيطان ذكر ربه.

---

[1] مسلم، **صحيح مسلم**، كتب الزكاة، باب لو كان لابن آدم واديان، حديث رقم(1050) (726/2).

[2] (الأنعام: 43)

[3] (الزمر :22)

[4] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**،(722)

المطلب التاسع: الزيغ

الزيغ: الميل والتزايغ: التمايل[1] وهو: الميل عن الاستقامة[2] .

والزيغ مرض من أمراض القلوب وقد ذكره الله تعالى منسوباً إلى القلب في أربعة مواضع منها الآية التي وصف الله تعالى أهل الزيغ بأنهم يتبعون المتشابهات من القرآن ويتركون المحكمات الواضحات.

قال تعالى:" **هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ** "[3].

قال سيد قطب: "وهنا يختلف الناس حسب استقامة فطرتهم أو زيغها في استقبال هذه الآيات وتلك. فأمّا الذين في قلوبهم زيغ وانحراف وضلال عن سواء الفطرة فيتركون الأصول الواضحة الدقيقة التي تقوم عليها العقيدة والشريعة والمنهاج العملي للحياة ويجرون وراء المتشابه الذي يعول في تصديقه على الإيمان بصدق مصدره والتسليم بأنه هو الذي يعلم" الحق" كله بينما الإدراك البشري نسبي محدود المجال. كما يعول فيه على استقامة الفطرة التي تدرك بالإلهام المباشر صدق هذا الكتاب كله وأنه نزل بالحق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . . يجرون وراء المتشابه لأنهم يجدون فيه مجالا لإيقاع الفتنة بالتأويلات المزلزلة للعقيدة والاختلافات التي تنشأ عن بلبلة الفكر"[4].

والإنسان الذي يميل عن الحق بعد وضوحه ويختار طريق الضلال بعد تبين طريق الهدى يزيغ الله قلبه قال تعالى:" **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ** "[5].

قال السعدي:" والرسول من حقه الإكرام والإعظام والقيام بأوامره والابتدار لحكمه وأما أذية الرسول الذي إحسانه إلى الخلق فوق كل إحسان بعد إحسان الله ففي غاية الوقاحة والجراءة

---

[1] انظر: ابن منظور **لسان العرب** (432/8)

[2] انظر: الأصفهاني ، **المفردات في غريب القرآن** (217)

[3] (آل عمران : 7)

[4] قطب **في ظلال القرآن** (1/ 370/369)

[5] (الصف: 5)

والزيغ عن الصراط المستقيم الذي قد علموه وتركوه ولهذا قال (فلما زاغوا) أي انصرفوا عن الحق بقصدهم (أزاغ الله قلوبهم) عقوبة لهم على زيغهم الذي اختاروه لأنفسهم ورضوه لها ولم يوفقهم الله للهدى لأنهم لا يليق بهم الخير ولا يصلحون إلا للشر"[1].

وقد أخبر الله تعالى عن الراسخين في العلم أولي الألباب بأنهم يخافون من بعض أعمالهم تكون سبباً لمعاقبة الله لهم بأن يزيغ قلوبهم وفيه تعلم للمؤمن أن يديم السؤال والدعاء أن يثبته على الحق ويحفظه من الإنحراف والزيغ بعد هدايته وإيمانه ويظل يطمع بالثبات على الحق ويرجو رحمة ربه قال تعالى:" **رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ** "[2].

المطلب العاشر: الغلظة

الغلظة ضد الرقة[3] و" الغَلَظُ من الأرض الصلب من غير حجارة"[4].

والغلظة مرض من أمراض القلوب ذكره الله تعالى في كتابه مبيناً أثره على الناس ومحذراً رسوله منه فقال تعالى:" **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ** "[5]. والفظ هنا : الغليظ والمراد غليظ الكلام أي لو كنت سيئ الكلام قاسي القلب عليهم لا نفضوا عنك وتركوك ولكن الله جمعهم عليك وألان جانبك لهم تأليفا لقلوبهم[6].

وقال الرازي في التفريق بين الفظ وغليظ القلب:" الفظ الذي يكون سيء الخلق وغليظ القلب هو الذي لا يتأثر قلبه عن شيء فقد لا يكون الإنسان سيء الخلق ولا يؤذي أحدا ولكنه لا يرق لهم ولا يرحمهم"[7].

فالتحذير في هذه الآية من غلظة القلب والقسوة في تعامل الدعاة مع المدعوين لما في ذلك من أثر في انفضاض الناس من حول الدعاة إلى الله تعالى فإنّ هذا الخلق يسبب نفور الناس

---

[1] السعدي **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** (859)

[2] (آل عمران: 8)

[3] انظر: ابن منظور **لسان العرب** (449/7)

[4] الزبيدي **تاج العروس** (244/20)

[5] (آل عمران: 159)

[6] انظر: ابن كثير **تفسير القرآن العظيم** (421/1)

[7] الرازي **التفسير الكبير** (52/9)

وتجنبهم للدعوة ، وهذا يبين بدلالة واضحة أنّ الدعوة إلى الله تعالى لا يمكن أن تدخل قلوب الناس إلا بالرفق والبعد عن القسوة.

المطلب الحادي عشر : التكبر

الكبر من أبغض الصفات إلى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وقد بين الله تعالى أنّ الصدر محل الكبر والمقصود به ما في الصدر وهو القلب فقال تعالى:" إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ"[1]. وقد بينّ سيد قطب أنّ الإنسان:" لينسى نفسه في أحيان كثيرة ينسى أنه كائن صغير ضعيف يستمد القوة لا من ذاته ولكن من اتصاله بمصدر القوة الأول من الله فيقطع اتصاله هذا ثم يروح ينتفخ ويورم ويتشامخ ويتعالى. يحيك في صدره الكبر يستمده من الشيطان الذي هلك بهذا الكبر... وإنه ليجادل في آيات الله ويكابر. وهي ظاهرة ناطقة معبرة للفطرة بلسان الفطرة. وهو يزعم لنفسه وللناس أنه إنما يناقش لأنه لم يقتنع ويجادل لأنه غير مستيقن."[2].

وقال تعالى ناسباً الكبر إلى النفس:"وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا"[3].

قال السعدي :" (لقد استكبروا في أنفسهم) حيث اقترحوا هذا الاقتراح وتجرؤوا هذه الجرأة فمن أنتم يا فقراء ويا مساكين حتى تطلبوا رؤية الله وتزعموا أن الرسالة متوقف ثبوتها على ذلك وأي كبر أعظم من هذا (وعتوا عتوا كبيرا) : أي قسوا وصلبوا عن الحق قساوة عظيمة فقلوبهم أشد من الأحجار وأصلب من الحديد لا تلين للحق ولا تصغي للناصحين فلذلك لم ينجح فيهم وعظ ولا تذكير ولا اتبعوا الحق حين جاءهم النذير بل قابلوا أصدق الخلق وأنصحهم وآيات الله البينات بالإعراض والتكذيب فأي عتو أكبر من هذا العتو ولذلك بطلت أعمالهم واضمحلت وخسروا أشد الخسران"[4].

---

[1] (غافر:56)

[2] قطب **في ظلال القرآن** (5/ 3089)

[3] (الفرقان:21)

[4] السعدي **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** (581)

وقد حذر صلى الله عليه وسلم من الكبر وبين أنه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال صلى الله عليه وسلم: " **لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ من كان في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ من كِبْرٍ. قال رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قال: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ. الْكِبْرُ: بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ الناس**"[1].

وقد بين الله سبحانه أنّ المتكبر يجادل في آيات الله الواضحة بغير حجة ولا دليل إنما هو الكبر.

قال تعالى:" **ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٖ**"[2]. ففي الآية بيان لمقت الله تعالى وبغضه لمن يجادل في آياته بغير حجة ولا برهان ويندد بالتكبر والتجبر وينذر بطمس الله لقلوب المتكبرين المتجبرين حتى ما يبقى في قلوبهم موضع للهدى ولا منفذ للإدراك[3].

المطلب الثاني عشر: الختم

الختم هو بلوغ آخر الشيء والختم : المنع والختم على القلب: أن لا يفهم شيئا ولا يخرج منه شيء كأنه طبع[4].

وقد ذكر سبحانه وتعالى الختم على القلوب في عدة مواضع في القرآن الكريم منها قوله تعالى:" **خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ** "[5]. وسبب الختم هو الإعراض والانهماك في الذنوب والمعاصي ودليل ذلك الآية التي قبلها :"**إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ**"[6] وإذا اجتمعت الذنوب على القلب وحفت به من كل نواحيه حتى تلتقي عليه فإنّ التقاءها عليه هو الختم قال ابن كثير:" قال مجاهد: (ختم الله

---

[1] مسلم **صحيح مسلم** كتاب الإيمان باب تحريم الكبر حديث رقم(91) (93/1)

[2] (غافر: 35)

[3] انظر: سيد قطب **في ظلال القرآن** (5/ 3081)

[4] انظر: ابن منظور **لسان العرب** (163/12)/ وابن فارس **معجم مقاييس اللغة** (245/2)

[5] (البقرة:7)

[6] (البقرة: 6)

على قلوبهم) قال نبئت أن الذنوب على القلب تحف به من كل نواحيه حتى تلتقي عليه فالتقاؤها عليه الطبع والطبع: الختم"[1].

فقلوب الكفار قلوب مريضة وفيها من التكبر والعناد ما استحقوا به أن يختم عليها ويمنعها من الفهم والوعي فلا يدخل إليها الحق ولا تتأثر بما يتلى عليها.

وقال تعالى:" قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ "[2]. قال الألوسي:" (وختم على قلوبكم) بأن غطى عليها بما لا يبقى لكم معه عقل وفهم"[3].

وقال تعالى:" أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ "[4]. وللعلماء في تفسير قوله" يختم على قلبك" عدة أقوال نذكر منها:

الأول : قول قتادة : يطبع على قلبك فينسيك القرآن وقال بمثله الطبري وابن كثير[5].

الثاني : قول مجاهد ومقاتل : يربط على قلبك بالصبر على أذى المشركين حتى لا يدخل قلبك حزنٌ من قولهم.

الثالث: قول ابن عيسى: أي لو حدثت نفسك أن تفتري على الله كذبا لطبع على قلبك .

الرابع: قول القشيري : فإن يشأ الله يختم على قلوب الكفار وعلى ألسنتهم وعاجلهم بالعقاب فالخطاب له والمراد الكفار[6].

وقال تعالى:"أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ"[7].

---

[1] ابن كثير **تفسير القرآن العظيم** (1/ 46)

[2] (الأنعام: 46)

[3] الآلوسي، **روح المعاني** (152/7)

[4] (الشورى: 24)

[5] انظر: الطبري **جامع البيان** (27/25)/ وابن كثير **تفسير القرآن العظيم** (115/4)

[6] انظر: القرطبي **الجامع لأحكام القرآن** (16/ 25)

[7] (الجاثية: 23)

قال سيد قطب :" إنه كائن عجيب يستحق الفرجة والتعجيب وهو يستحق من الله أن يضله فلا يتداركه برحمة الهدى فما أبقى في قلبه مكاناً للهدى وهو يتعبد هواه المريض... (وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة) فانطمست فيه تلك المنافذ التي يدخل منها النور وتلك المدارك التي يتسرب منها الهدى. وتعطلت فيه أدوات الإدراك"[1]

فالختم على القلوب لا يكون إلا بعد تجاوز الحدود مع الله تعالى فكلما زادت المعاصي زاد الطبع والختم على القلوب فبقدر الذنوب والمعاصي يتأثر القلب ويتضرر وتكون النهاية بالطبع والختم عليه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عن وَدْعِهِمْ الْجُمُعَاتِ أو لَيَخْتِمَنَّ الله على قُلُوبِهِمْ ثُمَّ لَيَكُونُنَّ من الْغَافِلِينَ** "[2]. ففي الحديث بيان لضرر الذنوب على القلب وترك صلاة الجمعة من المعاصي التي تسبب الختم على القلب والطبع عليه لذلك حذّر الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك. وواضح من الحديث أنّ الختم لا يأتي إلا بعد الإعراض عن تنبيهات الحق والاستمرار في الغفلة وارتكاب المنهيات.

المطلب الثالث عشر: الطبع

الطبع هو :" مثل على نهاية ينتهى إليها الشيء حتى يختم عندها يقال طبعت على الشيء طابعا ثم يقال على هذا طبع الإنسان وسجيته ومن ذلك طبع على قلب الكافر كأنه ختم عليه حتى لا يصل إليه هدى ولا نور فلا يوفق لخير"[3] .

أما القلب المطبوع فقد ورد ذكره في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة وهو صفة من صفات القلب المريض فالكافر الذي لا يؤمن بالله ولا يؤمن برسله طبع على قلبه فلا يؤمن ولا يعي ولا يفقه شيئاً قال تعالى:**فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ**

---

[1] قطب **في ظلال القرآن** (5/ 3230)

[2] مسلم **صحيح مسلم** كتاب الجمعة باب التغليظ في ترك الجمعة حديث رقم(2) (591/2)

[3] ابن فارس **معجم مقاييس اللغة** (3/ 438)

قُلُوبُنَا غُلْفٌۚ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا "[1]. فقد استحق هؤلاء الطبع على قلوبهم والختم عليها بسبب ما هم عليه من نقض العهود وقتل الأنبياء وكفرهم بالله تعالى فعاقبهم الله تعالى بأن منعهم من الإيمان

والمعتدون المكذبون بالرسل يطبع الله على قلوبهم فلا يصل إليها الحق ولا ينفذ إليها الإيمان. قال تعالى:" **ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ "**[2].

وأما الفرق بين الختم والطبع: فهو أن الطبع أثر يثبت في المطبوع ويلزمه فهو يفيد معنى الثبات واللزوم وهذا المعنى لا يفيده الختم ولهذا قيل: طبع الدرهم طبعا وهو الأثر الذي يؤثره فلا يزول عنه وقيل: طبع فلان على هذا الخلق إذا كان لا يزول عنه[3] . وعليه فإنّ الطبع أعلى درجة من الختم، وأشد نكالاً على صاحبه، والختم يؤمل من صاحبه أن يعود بالانابة والاستغفار وعمل الصالحات، فهذا يزيل أثر المعاصي والذنوب التي سببت الختم. أمّا الطبع ، فهو اغلاق شديد يصيب القلب فلا يجد له نوراً يدخله من شدة الاغراق في المعاصي والذنوب التي حجبت طريق الهدى والإيمان من الوصول إليه.

---

[1] (النساء: 155)

[2] (يونس: 74)

[3] انظر: أبا هلال العسكري **الفروق اللغوية** (64)

المبحث الثاني

أسباب مرض وفساد القلب

المطلب الأول: المعاصي والذنوب وأثرها على القلب

إنّ المعاصي إذا كثرت أفسدت القلب وحرمته العلم والنور فيطبع الله عليه وهي كالصدأ بالنسبة للحديد قال تعالى:"كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ"[1].

والرين هو الصدأ الذي يعلو السيف والمرآة[2] والرين هو الغطاء على الشيء يقال رانت الخمر على قلبه أي غلبت[3].

قال مجاهد قال في تفسير الآية : "انبثت على قلبه الخطايا حتى غمرته"[4]. وعنه أيضاً قال: " كانوا يرون القلب في مثل هذا - يعني الكف - فإذا أذنب العبد ذنبا ضم منه وقال بأصبعه الخنصر هكذا فإذا أذنب ضم أصبعا أخرى فإذا أذنب ضم أصبعا أخرى حتى ضم أصابعه كلها ثم يطبع عليه بطابع. قال مجاهد: وكانوا يرون أن ذلك الرين "[5]. وعن الحسن البصري[6] قال : "هو الذنب حتى يموت القلب"[7].

فالمتأمل لهذه الآية وهذا اللفظ(الران) يدرك حقيقة التصوير فكما يغطي الصدأ على السيف فإنّ القلب المريض الفاسد الذي يكسب الإثم والمعصية يغطيه صدأ الذنوب والمعاصي.

---

[1] (المطففين: 14)

[2] انظر: ابن منظور **لسان العرب** (192/13)

[3] انظر: ابن فارس **معجم مقاييس اللغة** (470/2)

[4] الطبري **جامع البيان** (99/30)

[5] المرجع السابق،(99/30)

[6] الحسن البصري: هو الحسن بن يسار البصري الفقيه القارئ الزاهد العابد سيد زمانه إمام أهل البصرة بل إمام أهل العصر ولد بالمدينة سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر رضي الله عنه عاش تسعاً وثمانين سنة وكانت وفاته سنة عشر ومائة.// انظر: الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك **الوافي بالوفيات** مج 29 تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى بيروت دار إحياء التراث (1420هـ/2000م) (190/12).

[7] الطبري، **جامع البيان** (99/30)

فالقلب الذي يمرد على المعصية ينطمس ويظلم ويرين عليه غطاء يحجب النور عنه ويفقده الحساسية حتى يتبلد ويموت[1].

وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال:" **إِنَّ الْعَبْدَ إذا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ في قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فإذا هو نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ صُقِلَ قَلْبُهُ وَإِنْ عَادَ زِيدَ فيها حتى تَعْلُوَ قَلْبَهُ وهو الرَّانُ الذي ذَكَرَ الله:"كَلَّا بَلْ رَانَ على قُلُوبِهِمْ ما كَانُوا يَكْسِبُونَ"**[2] .

يقول ميمون بن مهران[3] :" إنّ العبد إذا أذنب ذنبا نكت في قلبه نكتة سوداء فإذا تاب محيت من قلبه فترى قلب المؤمن مجليا مثل المرآة ما يأتيه الشيطان من ناحية إلا أبصره وأمّا الذي يتتابع في الذنوب فإنه كلما أذنب نكتت في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه فلا يبصر الشيطان من أين يأتيه."[4]

فالمعاصي بريد الكفر باعتبار أنها إذا أورثت القلب هذا السواد وعمته لم يقبل الخير أبداً فحينئذ يقسو ويخرج منه كل رحمة ورأفة وخوف فيرتكب ما أراد ويفعل ما أحب ويتخذ الشيطان ولياً من دون الله ويضله ويغويه ويعده ويمنيه ولا يرضى منه بدون الكفر ما وجد له إليه سبيلا [5]

---

[1] انظر: قطب **في ظلال القرآن** (3858/3857/6).

[2] الترمذي **سنن الترمذي** كتاب التفسير باب ومن سورة ويل للمطففين حديث رقم(3334) (434/5). قال الترمذي: حديث حسن صحيح/ وابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت:275ه) **سنن ابن ماجة** تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي مج2 بيروت دار الفكر كتاب الزهد باب ذكر الذنوب حديث رقم(4244) (1418/2) وأحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني **مسند أحمد بن حنبل** (ت: 241ه) مج6 مصر مؤسسة قرطبة مسند أبو هريرة حديث رقم(7939) (297/2).

[3] ميمون بن مهران : هو الجزري أبو أيوب أصله كوفي ثقة فقيه استعمله عمر بن عبد العزيز على خراج الجزيرة وقضائها من الرابعة مات سنة سبع عشرة/ انظر: الذهبي أبو عبد الله شمس الدين محمد ، **تذكرة الحفاظ**، بيروت دار الكتب العلمية(ط1) (99/1).

[4] ابن كثير **البداية والنهاية** بيروت مكتبة المعارف (317/9)

[5] انظر: الهيثمي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر (ت:973ه) **الزواجر** مج 2 تحقيق مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، (ط2/ 1420 هـ/1999م) لبنان صيدا المكتبة العصرية (23/1)

فالذنوب والمعاصي مرض فتاك بالقلب ولا ينجو منه إلا المؤمن بالله الذي إذا أذنب ذنباً عاد إلى ربه بالاستغفار والتوبة ولا يسمح للشيطان أن يدخل إليه ويغويه فبذلك يسلم قلبه.

المطلب الثاني: الإعراض عن الحق بعد معرفته

لم يكن الله عز وجل ليضل قوماّ بعد أن هداهم إلا إذا تركوا الهداية باختيارهم وتركوا العمل بما يعلمونه قال تعالى:" **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ**"[1] فالمتأمل لهذه الآيات يدرك حقيقة لا مفر منها وهي أنّ الله تعالى يزيغ القلب ويورثه الضلال والميل عن الحق بعد عدوله هو عن الحق بعد معرفته فبنو إسرائيل كانوا يعلمون أنّ موسى رسول الله إليهم إلا أنهم ابتعدوا عن هذه الحقيقة رغم معرفتهم بها لذلك أزاغ الله قلوبهم ففسدت ومرضت وهذا بأيديهم.

وقال تعالى:" **فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ**"[2]. والآية دليل على أنّ المرض لا يزيد إلا بعد تمكنه من قلب العبد وسيطرته عليه.

قال ابن القيم في حديثه عن مراتب الهداية الخاصة والعامة : "مرتبة البيان العام وهو: تبيين الحق وتمييزه من الباطل بأدلته وشواهده وأعلامه بحيث يصير مشهودا للقلب كشهود العين للمرئيات وهذه المرتبة هي حجة الله على خلقه التي لا يعذب أحدا ولا يضله إلا بعد وصوله إليها. قال الله تعالى:" وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون" فهذا الإضلال عقوبة منه لهم حين بين لهم فلم يقبلوا ما بينه لهم ولم يعملوا به فعاقبهم بأن أضلهم عن الهدى وما أضل الله سبحانه أحدا قط إلا بعد هذا البيان .

وإذا عرفت هذا عرفت سر القدر وزالت عنك شكوك كثيرة وشبهات في هذا الباب وعلمت حكمة الله في إضلاله من يضل من عباده والقرآن يصرح بهذا في غير موضع كقوله :" فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم" " وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم" .... "ونقلب أفئدتهم

---

[1] (الصف: 5)

[2] (البقرة: 10)

وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون" فعاقبهم على ترك الإيمان به حين تيقنوه وتحققوه بأن قلب أفئدتهم وأبصارهم فلم يهتدوا له"[1].

وقال ابن تيمية: " من أعرض عن إتباع الحق الذي يعلمه تبعا لهواه فإن ذلك يورثه الجهل والضلال حتى يعمى قلبه عن الحق الواضح كما قال تعالى:(فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم)"[2]

إنّ الله تعالى إذا هدى إنساناً فبفضله وإذا أضلّ إنساناً فبعدله قال السعدي:" وفي قوله عن المنافقين:" في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا" بيان لحكمته تعالى في تقدير المعاصي على العاصين وأنه بسبب ذنوبهم السابقة يبتليهم بالمعاصي اللاحقة الموجبة لعقوباتها كما قال تعالى:" ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة" وقال تعالى:" فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم" وقال تعالى:" وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم" فعقوبة المعصية المعصية بعدها كما أن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها قال تعالى:(ويزيد الله الذين اهتدوا هدى)[3]. وعليه فإنّ مصير القلب بمرضه وسلامته ونقائه وسقمه راجع أساساً إلى حامله الذي ابتدع طرقاً وسبلاً تحيد عن صراط الله تعالى فالابتداء من العبد والنتيجة حاصلة بعقوبة لصاحب هذا القلب بسقم أو مرض يصيبه، فالجزاء من جنس العمل ، وإن لم يكن للقلب حقيقة التوجه المطلوب لله تعالى اكتنفه ضباب الفتن والانحرافات.

---

[1] ابن القيم **مدارج السالكين** (42)

[2] ابن تيمية **أمراض القلوب** القاهرة، المطبعة السلفية، (ط2 1399ه) (39)

[3] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** (42)

الخاتمة

تناولت في دراستي موضوع القلب في القرآن الكريم واجتهدت فيه قدر استطاعتي وخلصت فيه إلى أهم النتائج التالية:

- تضمن القرآن الكريم بياناً وافياً شافياً حول القلب وصفاته وخصائصه ووظائفه.
- تضمن القرآن الكريم بياناً وافياً شافياً لأمراض القلوب وأسبابها وأسباب شفائها وصلاحها.
- بيّنّ القرآن الكريم في مواضع كثيرة أنّ صلاح النفوس أو فسادها بل صلاح الجماعات أو فسادها إنّما سببه القلوب.
- على أهل العلم والمهتمين بالتربية والإصلاح أن يلتفتوا إلى هذا الجانب فهو الأساس الأهم في الإصلاح.
- إنّ القلب أهم عضو من أعضاء الجسد وبصلاحه تصلح بقية الأعضاء وبفساده تفسد لذلك كان موضوع القلب من المواضيع التي ركز عليها القرآن الكريم وذلك لأهميته.
- إنّ للقلب وظائف و خصائص تميزه عن غيره من الأعضاء ومنها أنّه محل الإيمان والتقوى والكفر والفجور كما أنّه محل الطمأنينة والسكينة.
- إنّ العقل محله في القلب ولا شك أنّ هناك اتصالاً بالدماغ فالقلب و الدماغ متصلان ببعض.
- إنّ الله محاسب خلقه على ما عملوا من عمل وأمّا ما لم يعملوه مما ثبت في نفوسهم وأضمروه في قلوبهم فيغفر الله لمن شاء من عباده المؤمنين ويأخذ به أهل الكفر والنفاق.
- إنّ القلب السليم هو الذي سلم من الشهوات و الشبهات وانقاد لأمر الله وأذعن لأحكامه بغير شهوة ولا شبهة.

- إنّ لصلاح القلب أسباباً عدة منها الإيمان بالله تعالى والتفكر في قدرته وتعظيم أمره ونهيه.
- القلب المريض هو القلب الذي فيه من الإيمان بالله ومحبته ما فيه مادة حياته وفيه من الحسد والكبر والفساد ما هو مادة هلاكه.
- إنّ لفساد القلوب ومرضها أسباباً عدة منها الذنوب والمعاصي و ترك الحق وعدم اتباعه بعد معرفته والعلم به.

مسرد الآيات القرآنية الكريمة

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ	البقرة	6	88
خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ	البقرة	7	80
فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ	البقرة	10	94
ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ	البقرة	74	83
أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ	البقرة	87	15
وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ	البقرة	88	80
فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ	البقرة	97	20 11
وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡ	البقرة	225	37
وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ	البقرة	235	35 16
وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ	البقرة	283	76 39
وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ	البقرة	284	38 27
لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ	البقرة	286	40 38
فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ	آل عمران	7	85
رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا	آل عمران	8	86.18
فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ	آل عمران	103	46.30
وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ	آل عمران	126	52
سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ	آل عمران	151	31
وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۗ	آل عمران	154	68

وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ	آل عمران	159	86
إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ	آل عمران	190	69
وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ	النساء	155	134 120
وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ	المائدة	41	38
قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا	المائدة	113	44
وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ	الأنعام	43	124
وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم	الأنعام	46	89
وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ	الأنعام	110	79
فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ	الأنعام	125	45
ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا	الأعراف	179	56
ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ	الأنفال	2	78
وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ	الأنفال	10	27
وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ	التوبة	14	15
إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ	التوبة	45	77
رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ	التوبة	87	11
لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ	التوبة	110	78
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ	يونس	57	63
كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ	يونس	74	134
فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ	هود	12	29
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ	الرعد	11	20

أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ	الرعد	28	63 51 26
فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ	إبراهيم	37	29
وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ	الحجر	97	29
فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ	النحل	22	75
إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ	النحل	106	53 45
وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ	الإسراء	82	64
مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ	الأنبياء	2	73
لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ	الأنبياء	3	73
ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ	الحج	32	66 57
ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ	الحج	35	55
أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ	الحج	46	34 12
لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ	الحج	53	73
فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ	الحج	54	61
وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ	المؤمنون	60	53
أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ	النور	50	78

لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا	الفرقان	21	87
كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا	الفرقان	32	14
يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ	الشعراء	88	42 19 1
إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ	الشعراء	89	42 19 1
نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ	الشعراء	193	20
عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ	الشعراء	194	20
وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ	النمل	74	36
وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ	القصص	10	28
بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ	العنكبوت	49	21
كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ	الروم	59	70
وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ	الأحزاب	5	37
وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ	الأحزاب	10	11
وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ	الأحزاب	12	73

وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ	الأحزاب	26	32
فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ	الأحزاب	32	72
ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ	الأحزاب	53	67
إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ	فاطر	28	55
إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ	الصافات	84	60
فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِ	الزمر	22	84 45 31
ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ	الزمر	23	58 30
وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ	الزمر	45	33
وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ	غافر	18	12
يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ	غافر	19	36
كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ	غافر	35	88
إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ	غافر	56	87
سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ	فصلت	53	70

فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ	الشورى	24	89
أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ	الجاثية	23	89
هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ	الفتح	4	25
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ	الحجرات	3	56
إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ	الحجرات	13	38
وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ	الحجرات	14	22
وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ	ق	16	30
مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ	ق	33	61
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ	ق	37	22 10
مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ	النجم	11	14
أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ	الحديد	16	83 50 49
وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗ	الحديد	27	58
أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ	المجادلة	22	22

فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ	الحشر	2	32
رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟	الحشر	10	33
بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ	الحشر	14	12
فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ	الصف	5	94 85
وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ	التغابن	11	64
إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا	التحريم	4	66
إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۖ	الملك	13	36
كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ	المطففين	14	92
أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ	الشرح	1	44 15
أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ	التكاثر	1	75
نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ	الهمزة	6	29
ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ	الهمزة	7	29
ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ	الناس	5	15

مسرد الأحاديث

طرف الحديث	رقم الصفحة
" أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً وَأَلْيَنُ قُلُوبًا..."	60
" أَتَاهُ جِبْرِيلُ صلى الله عليه وسلم وهو يَلْعَبُ مع الْغِلْمَانِ..."	23
" أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كما قال أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ..."	39
" أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ ما لَا عَيْنٌ رَأَتْ..."	28
" أَلا وَإِنَّ في الْجَسَدِ مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ..."	1 14 19 61 63
" الصدق طمأنينة والكذب ريبة..."	29
" أنت عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ ليس بِفَظٍّ	81
" إن لكل شيء جلاء وإن جلاء القلوب ذكر الله عز وجل..."	62
" إِنَّ قُلُوبَ بني آدَمَ كُلَّهَا بين إِصْبَعَيْنِ من أَصَابِعِ الرحمن..."	78
" إنه لَيُغَانُ على قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ في الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ..."	66
" إن اللَّهَ لَيُلِينُ قُلُوبَ رِجَالٍ فيه حتى تَكُونَ أَلْيَنَ مِنَ اللَّبَنِ..."	60
" إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إلى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُم..."	18 35
" إِنَّ الْعَبْدَ إذا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ في قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ..."	93
" بَعَثَ أبو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ إلى قُرَّاءِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ..."	84
" تُعْرَضُ الْفِتَنُ على الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا..."	65

" سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ الله رَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ..."	55
" فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ من ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيمَانًا..."	23
" فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ..."	56
" كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئنا بالإيمان..."	46
" لا تَحَاسَدُوا ولا تَنَاجَشُوا ولا تَبَاغَضُوا ولا تَدَابَرُوا..."	24
" لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ من كان في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ من كِبْرٍ..."	88
" لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عن وَدْعِهِمْ الْجُمُعَاتِ..."	90
" هذه رَحْمَةٌ جَعَلَهَا الله في قُلُوبِ عِبَادِهِ..."	59
" وَالَّذِي نَفْسِي بيده إن لو تَدُومُونَ على ما تَكُونُونَ عِنْدِي..."	78
" (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة) أهو رجل يزني..."	53
" يا عِبَادِي لو أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ..."	24
" يا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي على دِينِك..."	18

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني (ت: 241ه) **مسند أحمد بن حنبل** مج6 مصر مؤسسة قرطبة.

البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي(ت:256) **الجامع الصحيح المختصر** 6مج تحقيق مصطفى ديب البغا ط3 بيروت دار ابن كثير (1407هـ/1987م).

البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء الشافعي (ت:516 هـ) **تفسير البغوي** 4مج تحقيق خالد عبد الرحمن العك.بيروت دار المعرفة.

البيضاوي أبو الفتح ، عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد الفارسي(ت:537هـ) **تفسير البيضاوي** 5مج بيروت دار الفكر.

البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي ت 458ه **شعب الإيمان** تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول ط 1410هـ بيروت دار الكتب العلمية.

الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي (ت:279) **سنن الترمذي** 5مج تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين بيروت دار إحياء التراث العربي.

ابن تيمية أبا العباس أحمد عبد الرحيم الحراني (ت:728) **أمراض القلوب** القاهرة المطبعة السلفية (ط2 1399ه).

_____ **الفتاوى الكبرى** تحقيق حسين محمد محمود بيروت دار المعرفة.

_____ **مجموع الفتاوى** تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي ط2 مكتبة ابن تيمية.

الثعالبي عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت:875ه) الجواهر الحسان في تفسير القرآن **(تفسير الثعالبي)** بيروت مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

الجرجاني علي بن محمد بن علي (ت816هـ) **التعريفات** تحقيق إبراهيم الابياري ط1 بيروت دار الكتاب العربي (1405هـ).

ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي بن محمد(ت:597هـ) **زاد المسير في علم التفسير** 9مج ط3 بيروت المكتب الإسلامي (1404هـ).

ابن الجوزي أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر** تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي ط1، لبنان/ بيروت ، مؤسسة الرسالة (1404هـ /1984م).

الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبدالله النيسابوي (ت: 405ه) **المستدرك على الصحيحين** 4مج تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ط1 (1411ه/ 1990م) بيروت دار الكتب العلمية.

ابن حجر أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني الشافعي (ت:852هـ) **تقريب التهذيب**، تحقيق: محمد عوامة ط1 سوريا دار الرشيد (1406 1986)

_____ **فتح الباري شرح صحيح البخاري** 14مج تحقيق محب الدين الخطيب بيروت دار المعرفة (1: 129/128).

الحكيم الترمذي أبو عبدالله محمد بن علي (ت:320هـ) **بيان الفرق بين القلب والصدر والفؤاد واللب** أعده للنشر وقابله بالاصل يوسف وليد مرعي (2009) عمان مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي.

الرازي فخر الدين محمد بن عمر التميمي الشافعي(ت:604هـ) **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب** 32مج بيروت دار الكتب العلمية (ط1 1421هـ -2000م).

الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت :721هـ) **مختار الصحاح**. تحقيق محمود فاطر بيروت مكتبة لبنان (1415هـ/1995م).

الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل (ت:503هـ) **معجم مفردات ألفاظ القران** تحقيق إبراهيم شمس الدين ط1 بيروت دار الكتب العلمية (1418 -1997).

ابن رجب الحنبلي ، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي، (ت: 795ه) **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم** تحقيق شعيب الأرناؤوط إبراهيم باجس ط7 بيروت مؤسسة الرسالة (1417هـ /1997م).

الزبيدي محمد مرتضى الحسيني (ت:1205) **تاج العروس** دار الهداية.

الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي (ت:538هـ) **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** تحقيق عبد الرزاق المهدي بيروت دار إحياء التراث العربي.

السعدي عبد الرحمن بن ناصر **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق ابن عثيمين بيروت مؤسسة الرسالة (1421هـ/2000م).

أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت:591هـ) **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**،بيروت دار إحياء التراث العربي.

السلمي أبا عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي (ت:412هـ) **تفسير السلمي** تحقيق سيد عمران 2مج ط1) بيروت دار الكتب العلمية (1421هـ/2001).

السمرقندي أبو ليث نصر بن محمد بن احمد (ت:373ه) **تفسير السمرقندي** تحقيق محمود مطرجي بيروت دار الفكر.

السمعاني أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار(ت:489هـ) **تفسير السمعاني** ط1 تحقيق ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم الرياض دار الوطن (1418هـ - 1997م).

السيوطي أبا الفضل عبد الرحمن جلال الدين (ت :911هـ) **معجم مقاليد العلوم** تحقيق محمد إبراهيم عبادة ط1 (1424هـ/2004م) القاهرة مكتبة الآداب.

الشنقيطي محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني **أضواء البيان** تحقيق: مكتب البحوث والدراسات. بيروت دار الفكر (1415هـ/ 1995م)

الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك (ت:764ه) **الوافي بالوفيات** مج 29 تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى بيروت دار إحياء التراث (1420هـ/2000م).

الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد (ت: 310ه) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** 14مج بيروت دار الفكر 1405ه.

ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد (ت: 1393ه) **التحرير والتنوير** 30 مج، تونس، دار سحنون (1997م

عبد الباقي ،محمد فؤاد،(ت: 1388ه) **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** بيروت دار إحياء التراث العربي .

العز بن عبد السلام عز الدين عبد العزيزبن أبي القاسم بن الحسن بن محمد بن مهذّب السلمي الدمشقي الشافعي (ت:660 ه) **تفسير القرآن / اختصار النكت للماوردي** 3مج تحقيق الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي ط1 بيروت دار ابن حزم (1416ه/1996م).

ابن أبي العز الحنفي أبو الحسن عليٌّ بن علاءِ الدين (ت:792ه) **شرح العقيدة الطحاوية** ط4 بيروت المكتب الإسلامي (1391هـ).

علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري (ت:730) **كشف الأسرار** تحقيق عبدالله محمود محمد عمر 4مج (1418هـ/1997م) بيروت دار الكتب العلمية.

الغزالي أبو حامد محمد بن محمد(ت 505هـ) **إحياء علوم الدين** 4مج بيروت دار المعرفة.
41. ابن فارس وأبا الحسين احمد بن زكريا(ت:325ه) **معجم مقاييس اللغة** 6مج تحقيق عبد السلام محمد هارون ط2 (1422هـ/ 1999م).

الفراهيدي الخليل بن احمد (ت -175ه) **العين** تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي 8مج دار ومكتبة الهلال.

الفيروز أبادي محمد بن يعقوب (ت:819ه) **القاموس المحيط** ط5 بيروت مؤسسة الرسالة 1996م.

القرطبي أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري (ت:671هـ) **الجامع لأحكام القرآن** 8مج القاهرة دار الشعب.

القشيري أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري (ت: 465ه) **الرسالة القشيرية** تحقيق معروف زريق وعلي عبد الحليم بلطجي ط1 (1408هـ/1988م) دار الخير.

قطب سيد **إبراهيم حسين الشاذلي** (ت:1386ه) **في ظلال القرآن** مج6 ط24 القاهرة دار الشروق (1995م/1415هـ).

ابن قيم الجوزية أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي (ت:751ه) **التبيان في أقسام القرآ ن** دار الفكر بلا طبعة ولاسنة نشر.

_____ **الجواب الكافي** بيروت دار الكتب العلمية.

_____ **الداء والدواء** تحقيق محمد جميل غازي القاهرة مطبعة المدني جدة دار المدني (ط1410 2هـ/1989م).

_____ **الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة** بيروت دار الكتب العلمية (1395 هـ/ 1975 م)

_____ **روضة المحبين ونزهة المشتاقين** بيروت دار الكتب العلمية بلا ط (1412ه\1992م).

_____ **شفاء العليل** تحقيق محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي بيروت دار الفكر (1398هـ).

_____ **طريق الهجرتين** تحقيق عمر بن محمود أبو عمر الدمام دار ابن القيم (ط2 1414ه/1994م) .

_____ **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** 3مج تحقيق: محمد حامد الفقي بيروت دار الكتاب العربي (ط2 1393ه/1973م).

_____ **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض بيروت دار الكتاب العربي،(ط1 1405هـ/1985م).

ابن كثير إسماعيل بن عمر الدمشقي أبو الفداء (ت:774هـ) **البداية والنهاية** بيروت مكتبة المعارف.

_____، **تفسير القرآن العظيم** 4مج بيروت دار الفكر (1401هـ).

ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت:275ه) **سنن ابن ماجة** تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي مج2 بيروت دار الفكر.

مصطفى إبراهيم و آخرون **المعجم الوسيط** تحقيق مجمع اللغة العربية دار الدعوة.

مسلم أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت:261) **صحيح مسلم** 5مج تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي بيروت دار إحياء التراث العربي.

المناوي محمد عبد الرؤوف (ت:1031هـ) **التعاريف** تحقيق محمد رضوان الداية ط1 بيروت دار الفكر المعاصر (ط 1 1410هـ).

ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري أبو الفضل (ت:711هـ) **لسان العرب** 15مج بيروت دار صادر (ط1 1410ه/1990م).

النحاس أبا جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي (ت:339) **الناسخ والمنسوخ** تحقيق:محمد عبد السلام محمد الكويت مكتبة الفلاح، (ط1/1408هـ).

النسفي أبو البركات حافظ الدين عبدالله بن احمد بن محمود (ت: 710ه) **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** 4مج. بلا طبعة ولا سنة نشر.

أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت: 395) **الفروق في اللغة** بيروت دار الآفاق الجديدة (ط1 1393هـ/ 1973م).

الهيثمي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر (ت:973ه) **الزواجر** مج 2 تحقيق مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز لبنان صيدا المكتبة العصرية (ط2 1420هـ/1999م).

الهيثمي علي بن أبي بكر (ت: 807هـ) **مجمع الزوائد** 10مج القاهرة دار الريان بيروت دار التراث (1407هـ).

الواحدي علي بن احمد أبو الحسن (ت:468ه) **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** 2مج ط1 تحقيق صفوان عدنان داوودي دمشق بيروت دار القلم الدار الشامية.

اليماني سلمان زيد سلمان **القلب ووظائفه في الكتاب والسنة** الدمام دار ابن القيم (ط1 1414هـ/1994م).

An - Najah National University
Faculty of Graduate Studies

Heart in the Holy Quran, an Objective Study

By

IbtihajYaser Isa Shahrouj

Supervisor

Dr. KhaledIlwan

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Fundamentals of Islamic Law (Usol Al-Din) , Faculty of Graduate Studies, An – Najah National University , Nablus - Palestine .

2011

Heart in the Holy Quran, an Objective Study

Prepared by
IbtihajYaser Isa Shahrouj
Supervised by
Dr. KhaledIlwan

Abstract

In his study, the researcher started by defining the word heart in language and dictionary as well as within the Quranic context in the first chapter. In the second chapter, the researcher talked about the importance of the heart in the life of a human being; it is the most significant of all organs and whenever the heart is healthy and pure the rest of the body will be likewise. The researcher also described the characteristics of the heart and its functions in the human body.

In the third chapter the researcher talked about the pure and healthy heart, its characteristics such as piety. After that, the researcher described the reasons that make one's heart pure and good such as knowledge and its impact on the heart saying that science and knowledge are major sources for heart purification and treatment. She also explained the importance of Thikr (Mentioning Allah) and meditation about the creation of the skies and earth.

In the fourth chapter, the researcher talked about the sick heart and described some of its characteristics such as cruelty, unkindness and amusement. She also talked about the reasons that lead some people to develop sick and impure heart and explained that sins play a major role in heart corruption.

In the conclusion the researcher presented the main results and recommendations of the study.

This document was created with Win2PDF available at http://www.win2pdf.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.
This page will not be added after purchasing Win2PDF.